
رسالتان فريدتان للزمخشري
جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي
٤٦٧هـ - ٥٣٨هـ
بتحقيق
هلال ناجي
رئيس اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين (الأسبق)
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق
القيروان
للنشر والتوزيع
بغداد - العراق

رسالتان فريدتان للزمخشري

جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي

٤٦٧هـ - ٥٣٨ هـ

بتحقيق

هلال ناجي

رئيس اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين (الأسبق)
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

القيروان
للنشر والتوزيع
بغداد - العراق

العراق - بغداد - شارع المتنبي
هـ ٠٠٩٦٤١/٥١٤٣٣٦٥ - هاتف وفاكس ٠٠٩٦٤١/٤١٤٢٥٢٤



الزمخشري

حياته وآثاره

إقليم خوارزم في زمننا هذا موزع بين جمهوريتين من جمهوريات الاتحاد السوفيتي المنحل هما: أوزبكستان وتركمانستان، وقد كان لإقليم خوارزم في صدر القرون الوسطى قصبتان: أولاهما في الجانب الغربي -أي الفارسي- من نهر جيحون، تسمى الجرجانية. والأخرى في الجانب الشرقي -أي التركي- من النهر، ويقال لها: كاث. وكانت الجرجانية - في صدر القرن الخامس الهجري - تقع على غلوة من غرب نهر كبير تجري فيه السفن، يأخذ من جيحون، ويجري محاذيًا له. وبانحطاط «كاث» أصبحت الجرجانية أُولى مدن إقليم خوارزم، وصارت تعرف بوجه عام بمدينة خوارزم(1). وقد اشتهر أهل الجرجانية بالصناعات الدقيقة رجالاً ونساءً، كما اشتهرت بالبطيخ الذي لا يوجد مثله في غيرها من البلاد حلاوة وطيبًا. وإقليم خوارزم بلاد خصبة، وأهم تجاراته الطعام والحبوب والفواكه والقطن والصوف، وفي أسواق الجرجانية كانت تباع أشهر أنواع الفراء وأغلاها(2).

و «زَمَخْشَر» التي نُسب إليها الزمخشري مدينة صغيرة كانت تقع بين نوزوار والجرجانية(3). ذكرها المقدسي وقال: «عليها حصن وخندق ومحبس وأبواب محددة، والجسور ترفع كلّ ليلة، والجادة تشق البلد، والجامع طريف بطريق السوق»(4).

---

(1) بلدان الخلافة الشرقية ٤٨٩-٤٩١.

(2) بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٠٢.

(3) بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٩٧.

(4) أحسن التقاسيم ٢٨٩.

وروى الزمخشري عن قريته هذه طُرفةً سمعها من أبيه قال: اجتاز بزمخشر أعرابيٌّ؛ فسأل عن اسمها واسم كبيرها، فقيل له: زمخشر، والردّاد. فقال: لا خَيْرَ في شرٍّ وردٍّ، ولم يُلْمِم بها[1].

مولده، اسمه، كنيته، لقبه:

في يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧هـ وُلد في زمخشر جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري[2].

ووهم السيوطي إذ عدّه من مواليد سنة سبع وتسعين وأربعمائة[3].

ووقع الخلاف في اسم جده وجدّ أبيه. قال ياقوت: هو محمود بن عمر بن أحمد[4]. وقال السمعاني وابن خلكان وابن كثير: محمود بن عمر بن محمد بن عمر[5]. وقال السيوطي: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد[6]. كنيته أبو القاسم، وكان قد جاور بمكة زمنًا، فصار يقال له «جار الله» تلقيبًا[7].

وقد نشأ الزمخشري في أيام الوزير نظام الملك الذي ازدهرت في عهده العلوم والآداب، والذي كان بابه مجمعًا للفضلاء وملجأ للعلماء[8]. في عهد هذا الوزير الذي كان راعيًا للعلماء والأدباء نشأ الزمخشري في كنف أب عالم أديب تقيّ ورع محدود الموارد[9].

---

(١) معجم البلدان ٢/٩٤١ وأزهار الرياض ٣/٢٩٣ وتاج العروس ٣/٢٤٢.

(٢) الأنساب للسمعاني الورقة ٢٧٨. نزهة الألباء للأنباري ٣٩٣، إرشاد الأريب لياقوت ٧/١٤٧، وفيات الأعيان ٥/١٧٣، المختصر في أخبار البشر ٢/١٦. تاج التراجم ٧٢. وشذرات الذهب ٤/١٢١.

(٣) بغية الوعاة ٢/٢٧٩.

(٤) الإرشاد ٧/١٤٧.

(٥) الأنساب الورقة ٢٧٧. ووفيات الأعيان ٥/١٦٨، والبداية والنهاية ١٢/٢١٩.

(٦) بغية الوعاة ٢/٢٧٩.

(٧) تاج العروس ٣/٢٤٢.

(٨) تاريخ دولة آل سلجوق ص٥٩.

(٩) انظر صفات أبيه عنه في مرثاته له في مخطوطة ديوانه الورقتان ٧١-٧٢.

شيوخه:

رحل الزمخشري في طلب العلم وهو صغير.

فأخذ النحو والأدب عن أبي مضر محمود بن جرير الضبّي الأصبهاني وأبي علي الحسن بن المظفر النيسابوري، وسمع من شيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي ومن أبي سعد الشقّاني[١].

وكان قد قدم بغداد قبل الخمس مائة، وسمع بها من أبي الخطاب بن البطر[٢].

وتوجه إلى الحجاز فأقام هنالك مدة مجاورًا بمكة يفيد ويستفيد (العقد الثمين ٧/١٣٨).

وأخذ علم الفقه من الشيخ السديد الخياطي ختن عين الأئمة[٣].

ولم يأنف الزمخشري الأخذ عن بعض معاصريه وهو في سن متقدمة، فالمصادر تذكر أنه قرأ كتاب سيبويه بمكة على الشيخ عبد الله بن طلحة اليابري[٤] الأندلسي. وروى حديثًا عن أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز النسفي بمكة (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٧/١٥٠).

وذكر القفطي عن أبي اليمن الكندي: أن الزمخشري قدم بغداد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، ورآه أبو اليمن عند شيخه أبي منصور ابن الجواليقي مرتين، قارئًا عليه بعض كتب اللغة من فواتحها، ومستجيزًا لها[٥].

وهذا يعني أن الجواليقي كان من شيوخ الزمخشري أيضًا.

---

(١) إرشاد الأريب ٧/١٤٧، والبغية ٢/٢٧٩، ومعجم الأدباء ٩/١٩٠-١٩١.

(٢) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ٣٩١، وطبقات المفسرين للسيوطي ص٤١، وطبقات المفسرين للداودي ٢/٢١٥ وسمّاه الذهبي في سير أعلام النبلاء: نصر بن البطر.

(٣) مفتاح السعادة ٢/١٠٠.

(٤) البُلغة في تاريخ أئمة اللغة ص ٢٥٧، وأزهار الرياض ٣/٧٧.

(٥) إنباه الرواة ٣/٢٧٠.

ووهم ابن خلكان في اسم شيخه أبي مضر فسمّاه «منصور»[1]، والصواب ما ذكرنا نقلاً عن إرشاد الأريب.

ووهم الزبيدي في شيخه أبي منصور نصر الحارثي، فسماه «ابن منصور» الحارثي»[2]، والصواب ما ذكرنا.

أطراف من سيرته:

حين بلغ الزمخشري سنّ طلب العلم رحل إلى بخارى فسقط عن الدابة وانكسرت رجله وحدث بها من القيح ما أوجب قطعها[3]. وفي بغداد سأله الفقيه أحمد بن علي الدامغاني عن سبب قطعها، فقال الزمخشري له: سببها دعاء الوالدة، وذلك أنني في صباي أمسكت عصفورًا وربطته بخيط في رجله، وانفلت من يدي، فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبتُه، فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت أمّي لذلك، ودعت عليّ بقطع رجلي[4].

وتذكر المصادر سببًا آخر لسقوط رجله وهو أنه كان في بعض أسفاره ببلاد خوارزم، فأصابه ثلج كثير وبرد شديد في الطريق، سقطت منه رجله[5]. وإقليم خوارزم عامة شديدة البرودة، وقد سجّل الثعالبي حالة الطقس هذه قبل ذلك بزمن طويل بقوله[6]:

للـه بـردُ خـوارزم إذا كلـبتْ	انيـابُه وكَسَتْ أبدانَنا الرِّعَدا
فالشمسُ محجوبةٌ، والريحُ مدميةٌ	جلودَ قوم أضاعوا الصبرَ والجَلَدا
والماءُ مستجمرٌ والكلبُ مُنْجمرٌ	والزمهرير يسوقُ الصِّرَّ والصَّرَدا
فلو تقبّلُ معشوقًا مخالسةً	رايتَ فاكَ على فيه وقد جَمَدا

---

(١) وفيات الأعيان ٥/١٦٨ و ٥/١٧٢.

(٢) تاج العروس ٣/٢٤٢.

(٣) إنباه الرواة ٣/٢٦٨، وانظر بغية الوعاة ٢/٢٨٠، وإرشاد الأريب ٧/١٤٧.

(٤) إنباه الرواة ٣/٢٦٨، وإرشاد الأريب ٧/١٤٧.

(٥) وفيات الأيان ٥/١٦٩.

(٦) خاص الخاص ٢٤١-٢٤٢.

ويؤكد ابن خلكان هذه الحقيقة بقوله: «والثلج والبرد كثيرًا ما يؤثر في الأطراف في تلك البلاد فتسقط، خصوصًا خوارزم، فإنها في غاية البرد، ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا ممن سقطت أطرافهم بهذا السبب، فلا يستبعده من لم يعهده»[1].

وهكذا أصبح بعد سقوط إحدى رجليه يمشي في جاون من خشب، وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال، فيظن من يراه أنه أعرج[2].

وقيل[3]: كان أبوه إمامًا بقرية زمخشر، وقال: أعلمه الخياطة لأنه صار زَمِنًا مُبتلى، فقال لأبيه: «احملني إلى البلد واتركني بها، فحمله إلى البلد، ورزقه الله حظًا حسنًا، فكفاه الله رزقه»، وإلى عاهته هذه يشير الزمخشري في قوله: «كم رأيت من أعرج في درج المعالي أعرج، ومن صحيح القدم ليس له في الخير قَدَمْ»[4].

ولقد عاش الزمخشري عزبًا، معرضًا عن الزواج والإنجاب.

ورأى بعض معاصرينا أن شعوره بالنقص الجسماني وفشله في تجربة حب خاضها، كانا وراء نظرته التشاؤمية هذه[5].

ولقد تعاورت عليه النكبات بوفاة والده ووالدته وخاله وأستاذه «الضبّي»، فتفجع عليهم ورثاهم جميعًا، وكان حزنه على شيخه وأستاذه بالغًا، فطبع هذا حياته بطابع الحزن العميق. أقام بخُوارزم فكانت تضرب إليه أكباد الإبل، وتحط بفنائه رحال الرجال وتحدى باسمه مطايا الآمال[6].

---

(١) وفيات الأعيان ١٦٩/٥.

(٢) مفتاح السعادة ٩٩/٢.

(٣) مفتاح السعادة ١٠٠/٢.

(٤) نوابغ الكلم ص ١١ - طبعة عبد الحميد أحمد حنفي - مصر.

(٥) الزمخشري -شاعرًا- بهيجة الحسني ص ٤-٥.

(٦) الإنباه - ٢٦٦/٣.

وكان الزمخشري -رغم مكانته العلمية الرفيعة- يرى نفسه مُضَيَّعًا فهو بعيد عن الجاه والمنصب والمال ولذلك كان يقول[1]:

وما حقَّ مثلي أن يكون مُضَيَّعًا	وقد عَظُمَتْ عند الوزير رسائلي
ولم أدر أنَّ الأرذلين يرون ما	تمنوا وأنّي لستُ أحظى بطائل

وحين رأى الجهل حليفًا للنعمة، والفضل حليفًا للمحنة قال[2]:

أشكو إلى الله جفوة الزمن	ودولة ما تزال تظلمني
تؤثر جهالها بنعمتها	وتقصد الفاضلين بالمحن
قلبي لا يعرف السرور وما	أعْرَفَ قلبي بشدة الحزن

مدح الزمخشري الوزير نظام الملك وابنه مؤيد الملك وبعض سلاطين السلاجقة والأمراء وسواهم، ولم يظفر من هذه المدائح بما تطلع إليه من منصب وجاه، فآثر الرحلة عن بلده وحين قدم الزمخشري إلى بغداد قاصدًا الحج، زاره الشريف أبو السعادات هبَة الله بن الشجري مهنئًا له بقدومه، فلما جالسه أنشده الشريف متمثلاً:

كانت مساءلةُ الركبان تخبرني	عن أحمد بن دؤادٍ أطيبَ الخَبَرِ
حتى التقينا فلا والله ما سمعتْ	أذني بأحسن مما قد رأى بصري

وأنشده أيضًا:

واستكثر الأخبار قبل لقائه	فلما التقينا صَغَّر الخبرَ الخُبْرُ

وأثنى عليه، ولم ينطق الزمخشري حتى فرغ الشريف من كلامه، فلما فرغ شكر الرشيفَ وعَظَّمَهُ وتصاغر له، وقال: إنّ زيد الخيل دخل على رسول الله ﷺ، فحين بصُرَ بالنبيّ رفع صوته بالشهادة، فقال له الرسول ﷺ: «يا زيد

(١) ديوان الزمخشري - الورقة ٩٥ - مصورة في خزانة المجمع العلمي العراقي برقم ٦٧٢.
(٢) ديوان الزمخشري - الورقة ١١٣.

الخيل، كلّ رجل وُصِفَ لي وجدته دون الصفة، إلاّ أنت، فإنك فوق ما وُصفت» وكذلك الشريف، ودعا له، وأثنى عليه. قال: فتعجب الحاضرون من كلامهما، لأن الخبر كان أليقَ بالشريف، والشعر أليقَ بالزمخشري[1].

وفي سنة اثنتي عشرة بعد الخمسمائة مرض الزمخشري «المرضة الناهكة» فعاهد الله إن شفاه منه أن لا يطأ عتبة سلطان وأن لا يقول الشعر فيهم، وأن يعفّ عن صلاتهم وعطياتهم وأن يعتصم بحبل التوكل على الله ويتنسك، وأن يُدَرِّسَ ما يُجدي من العلوم كعلم القراءات والحديث والفقه[2].

وقد استجاب الله -تعالى- لدعائه فشفاه، وبرّ هو بوعده فتوجه إلى بيت الله الحرام سنة ٥١٦هـ لتأدية فريضة الحج وليقضي البقية الباقية من عمره مجاورًا.

وألقى الزمخشري عصا الترحال في مكة المكرمة، واتصل بوجه بارز من وجوهها هو الشريف الزمير علي بن عيسى بن حمزة الحسني الشهير بابن وهّاس، فاحتضنه -وكان هو الآخر أديبًا شاعرًا- حتى أنساه من خلّف وراءه.

وقد بانت أصداء هذه الصلة في أمرين:

أولهما: في المؤلفات العديدة التي صنّفها الزمخشري وأهداها لابن وهّاس.

وثانيهما: في الوداد الصافي الذي طبع شعرهما، حتى غرّد كلٌّ منهما بمحاسن صاحبه.

قال الزمخشري[3]:

بمكة آخيت الشريف وفتية ... حواليه من آل النبيِّ غطارفا

(١) نزهة الألباء ٣٩٢، وإرشاد الأريب ٧/١٤٧-١٤٨.

(٢) انظر مقدمة «المقامات» للزمخشري.

(٣) القصيدة بتمامها في مخطوطة ديوانه الورقات ٧٧-٨٠.

وكنتُ عليهم من أعز نفوسهم ... أعز وكلٌّ كان صنواً ملاطفا

وكان ابن وهاس لجنبي فارشاً ... كما تفعل الأم الحفية لاحفا

رايت مع الإجلال منه تكرماً ... كما صاب ربعيُّ الحيا مترادفا

على باب «أجياد» بنى لي منزلاً ... كركن شمام بالصفا متواصفا

وانفقت في إتمامه من تلاده ... ثقيلات وزن في البلاد خفائفا

وأثنى ابن وهاس على الزمخشري في مقطعات عدة سنورد بعضها في فقرة أخرى. وفي مكة المكرمة تفرغ الزمخشري لتصنيف أبرز مؤلفاته وانصفر إلى التدريس فقصده طلاب العلم من أنحاء العالم الإسلامي للأخذ عنه، واستجازه علماء أعلام - بعد أن طبقت شهرته الآفاق - فأجاز بعضهم وامتنع عن إجازة آخرين.

وتحفظ لنا المصادر أن القاضي عياض استجاز الزمخشري ولم يجزه[1]. وأن الإمام الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السِّلفي استجاز الزمخشري مرتين فأجازه في[2] الثانية.

ورغم ما تحقق لصاحبنا من استقرار مادي ونفسي بجوار بيت الله، وما تفرغ له من بحث وتصنيف، وما تحلق حوله من طلاب علم يجلونه ويستقون من نبعه، فإنّ الحنين إلى وطنه ظلّ يعصف به من داخله، حتى دفعه إلى مغادرة مكة إلى وطنه. وقد ندم على ذلك سريعاً، وظهر أثر هذا الندم في شعره.

فمن أثر ذلك الندم قوله[3]:

هو النَّفَسُ الصَّعَّادُ عن كَبِدٍ حَرّى ... إلى أن أرى أمَّ القُرى مرةً أُخرى

---

(١) أزهار الرياض في أخبار عياض ٢/٢٨٢.

(٢) انظر نص الاستجازتين والرد عليهما في مجلة المجمع العلمي العراقي -المجلد ٢٣- ص ١٥٧-١٩٥.

(٣) أزهار الرياض ٢/٢٩٤.

سَرَيْتُ بشخصي لا بنفسي وهمتي	وهيهات ما للأخشبين وللمَسْرى
مُقيمان عند البيت ما ذرّ شارقٌ	مُنيخان بالبطحاء ما ذكّت الشّعرى

في هذه الفترة بالذات سيطرت ظاهرة صوفية على الزمخشري جعلته ينقل كتبه كلها إلى مشهد الإمام أبي حنيفة ويقفها، ولا يبقي في يده غير كتاب الله عز وجل، حتى لا يشغله شاغلٌ عنه، ثم انتهى إلى لون من القناعة بلغ حدّ اليأس، فتوجه إلى مكة المكرمة ليلوذ بحرم الله تعالى، وتسربل عيشة الزهاد ولباسهم، بانتظار داعي السماء(١).

وتحدثنا المصادر أن الزمخشري آب إلى خوارزم حيث وافاه الأجل في كركانج ليلة عرفة من عام ٥٣٨هـ(٢).

وكركانج هذه هي قصبة بلاد خوارزم ومدينتها العظمى، وقد عُرِّبت فقيل لها «الجرجانية» وهي على شاطيء جيحون(٣).

ورثاه بعض الفضلاء بأبيات، من جملتها(٤):

فأرض مكة تذري الدمعَ مقلتها	حزنًا لفرقة جار الله محمودِ

وكان -رحمه الله- قد أوصى أن يكتب على لوح قبره(٥):

إلهي قد أصبحت ضيفك في الثرى	وللضيف حق عند كل كريم
فهبْ لي ذنوبي في قراي فإنها	عظيم ولا يُقرى بغير عظيم

---

(١) المصدر السابق ص١٧٨-١٧٩، وأزهار الرياض ٢/٢٨٤-٢٨٥.
(٢) نزهة الألباء، ٣٩٣، وإرشاد الأريب ٧/١٤٨، ووفيات الأعيان ٥/١٧٣، وتاج التراجم ٧٢، ولسان الميزان ٦/٩، وبغية الوعاة ٢/٢٨٠، وتذكرة الحفاظ ١٢٨٣، والمستفاد ٢٩٢، والمنتظم ١٠/١١٢، وكامل ابن الأثير ١١/٩٧، وعبر الذهبي ٤/١٠٦، ومرآة الجنان ٣/٢٦٩، والبداية والنهاية ١٢/٢١٩، ودول الإسلام ٢/٥٦.
(٣) مراصد الاطلاع ٢/١١٥٩، وفيات الأيان ٥/١٧٤، وإنباه الرواة ٥/٢٦٨.
(٤) وفيات الأعيان ٥/١٧٣.
(٥) طبقات المفسرين ٢/٢١٦.

تلاميذه ومن أجازهم:

كان الزمخشري علامة عصره، فليس في الإمكان حصر تلامذته، ومن اخذ عنه، ومن أجازهم. قال القفطي عنه: «ما دخل بلدًا إلاّ واجتمعوا عليه، وتلمذوا له، واستفادوا منه»[1]. غير أن ما لا يدرك كلّه، لا يترك جُلّه. فمن تلامذته:

١- زينب بنت عبد الرحمن الشَّعْري وهي شيخة ابن خلّكان[2]، وشيخة ابن النجار أيضًا (انظر سير أعلام النبلاء ٢٠/١٥١-١٥٦).

٢- أبو إسماعيل يعقوب بن شرين الجنديّ: وصفه الزمخشري بأنه «أفضل الفتيان في عصره، وأعقلهم وأذكاهم وأدهاهم، وكان كاتب سُلطان خوارزم، فاستعفى، وهو يكتب باللسانين العربية والفارسية ويُحسن، وهو ممن رَبّيْتُ وخَرَّجْتُ وبَلَّغْتُ تلك الذروة، وهو أوثق سهمٍ من كنانتي»[3].

٣- ضياء الدين المكي ألّف شرحًا لأنموذج الزمخشري سمّاه «كفاية النحو في علم الإعراب» وصلتنا منه مخطوطات ذكرها بروكلمان[4].

٤- أبو الفضل محمد بن أبي القاسم بن بايجوك البقال الخوارزمي، الذي خلفه في حلقته العلمية وتوفي في الثلاثين من جمادى الآخرة سنة ٥٦٢هـ وعمره حوالي سبعين عامًا، من مصنفاته أسرار الأدب وافتخار العرب ومفتاح التنزيل، وتقويم اللسان في النحو، والإعجاب في الإعراب، والبداية في المعاني والبيان، ومنازل العرب، وشرح أسماء الله الحسنى[5].

---

(١) إنباه الرواة ٣/٢٦٦.

(٢) الوفيات ٥/١٧١.

(٣) أزهار الرياض ٣/٢٨٧، استجازة السلفي الزمخشري ص ١٨٢.

(٤) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان - الجزء الخامس ص٢٢٨ و ص٢٢٨ (الترجمة العربية).

(٥) بروكلمان - الترجمة العربية - ٥/٢٣٩، ومعجم الأدباء ١٩/٥.

٥- ممن أخذ عنه أبو المؤيد بن أحمد المكي (٤٨٤-٥٦٨هـ) المعروف بأخطب خوارزم. وهو مصنف معروف من شعره يمدح شيخه الزمخشري[1]:

أفَخْرَ خوارزمَ ما لي عنك مُنْحَرَفُ	ما دام تختلفُ الأنوارُ والسُّدَفُ
الستَ أنتَ الذي خوّلتني نِعَمًا	تُطوى وتُنْشَرُ في تعدادها الصُّحُفُ
الستَ أنتَ الذي أوليتني رُتَبًا	بفضل رفعتها الإيوان يعترفُ
الستَ أنتَ الذي من وِرْد نعمته	وَوِرْدِ حكمته أجني وأغترفُ

٦- الإمام ركن الدين محمود الأصولي والإمام أبو منصور وكلاهما من تلامذته في علم التفسير[2].

٧- قال السمعاني[3]: وروى لي عنه أبو المحاسن إسماعيل بن عبد الله الطويلي بطبرستان، وأبو المحاسن عبد الرحيم بن عبد الله البزاز بأبيورد، وأبو عمرو عامر بن الحسن السمسار بزمخشر، وأبو سعد أحمد بن محمود الشاشي بسمرقند، وأبو طاهر سامان بن عبد الملك الفقيه بخوارزم.

٨- علي بن محمد العمراني، قرأ عليه كتاب المحاجاة بالمسائل النحوية، له تصانيف جيدة منها: كتاب المواضع والبلدان وكتاب تفسير القرآن وكتاب اشتقاق الأسماء، توفي في حدود عام ٥٦٦هـ. انظر (معجم الأدباء ١٥/٦١).

٩- القاضي أبو المعالي يحيى بن عبد الرحمن بن علي الشيباني، قاضي مكة المشرفة روى عن الزمخشري كتاب «الكشاف» بالحرم الشريف (انظر: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٧/١٣٨).

١٠- وأجاز لأبي طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي. (انظر: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٧/١٣٩).

---

(١) أزهار الرياض ٣/٢٩١.

(٢) مفتاح السعادة ٢/١٠٠.

(٣) الأنساب - طبعة مرجليوث- الورقة (٢٧٧ظ) وانظر أيضًا سير أعلام النبلاء ٢٠/١٥١-١٥٦ وفيه: روى عنه اناشيد إسماعيل بن عبد الله الخوارزمي وأحمد بن محمود الشاشي.

١١- ومن تلاميذه يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر البلخي، احد الأئمة في النحو والأدب، أخذ عنه ولزمه. (معجم الأدباء ٢٠/٥٥).

١٢- وممن استجازوه محمد بن عبد الملك البلخي المعروف برشيد الدين الوطواط، ومن أئمة النظم والنثر في عصره، له مصنفات منها حدائق السحر في دقائق الشعر. (معجم الأدباء ١٩/٢٩).

مذهبه:

أجمعت المصادر على أن الزمخشري كان معتزلي المذهب مجاهرًا بذلك[١] وأنه كان يظهر مذهب الاعتزال ويصرح بذلك في تفسيره، ويناظر عليه[٢]. وقد اعتنق الزمخشري مذهب المعتزلة متأثرًا بشيخه محمود بن جرير الضبّي الذي أقام في خوارزم مدة فانتفع الناس بعلومه، وتخرج عليه جماعة من النوابغ، وهو الذي أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها، فاجتمع عليه الخلق لجلالته، وتمذهبوا بمذهبه، ومنهم صاحبنا.

وبلغ من تظاهر الزمخشري بالاعتزال أنه كان يأخذ حَلْقَة باب البيت الشريف بيده، ويقول: أنا الشويخ المعتزلي، من يبرز لي من يبرز لي[٣]؟.

وتضيف المصادر أنه كان: حنفيّ الفروع معتزلي الأصول[٤].

قال ابن الأهدل: كان من أئمة الحنفية معتزلي العقيدة[٥].

وكونه حنفي المذهب يُفسِّر أمرين:

أولهما: تصنيفهُ كتابًا في مناقب الإمام أبي حنيفة اسمه «شقائق النعمان في حقائق النعمان»[٦].

---

(١) إرشاد الأريب ٧/١٤٧، ووفيات الأعيان ٥/١٧٠، وميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣/١٥٤.

(٢) البداية والنهاية ١٢/٢١٩.

(٣) هامش الصحيفة ٤١ - طبقات المفسرين للسيوطي.

(٤) المختصر في أخبار البشر ٢/١٦.

(٥) شذرات الذهب ٤/١٢١.

(٦) إرشاد الأريب ٧/١٥١.

وثانيهما: نقله كتبه كلها إلى مشهد أبي حنيفة ووقفها هناك[1].

ولكن ثمة مقطعة أوردَها محققا كتابه «الفائق في غريب الحديث» تثير الشك في حقيقة مذهبه، إذ يقول:

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به	وأكتمه، كتمانه لي أسلمُ
فإنْ حنفياً قلت، قالوا بأنني	أبيح الطلا وهو الشراب المحرم
وإنْ مالكيّاً قلت، قالوا بأنني	أبيح لهم أكل الكلاب وهم هُمْ
وإنْ شافعيّاً قلت، قالوا بأنني	أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وإن حنبليّاً قلت، قالوا بأنني	ثقيلٌ حلوليٌ بغيضٌ مُجسِّمُ
وإن قلت، من أهل الحديث وحزبه	يقولون، تيسٌ ليس يدري ويفهم
تعجبت من هذا الزمان وأهله	فما أحدٌ من ألسن الناس يسلم
وأخّرني دهري وقدّم معشراً	على أنهم لا يعلمون وأعلمُ

آراء المصنفين فيه:

قال ياقوت عنه[2]: «كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل، متفننًا في علوم شتّى».

ووصفه ابن خلكان بمثل هذا فقال[3]: «الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع، تُشدّ إليه الرحال في فنونه».

(١) استجازة الحافظ السلفي الشيخ الزمخشري - مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٢٣ ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) إرشاد الأريب ١٤٧/٧.

(٣) وفيات الأعيان ١٦٨/٥.

وقال القفطي عنه[1]: «ممن يُضرب به المثل في علم الأدب والنحو واللغة.. وكان علامة الأدب، ونسّابة العرب».

ووصفه صاحب وشاح الدمية بأنه[2]: «أستاذ الدنيا، فخر خوارزم، جار الله العلامة أبو القاسم محمود الزمخشري من أكابر الأمة، وقد ألقت العلوم إليه أطراف الأزمّة، واتفقت على إطرائه الألسنة، وتشرفت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة، ولم يتمكن في دهره واحد من جلاء رذائل (كذا) النظم والنثر، وصقال صوارم الأدب والشعر، إلاّ بالاهتداء بنجم فضله، والاقتداح بزند عقله..».

ووصفه السيوطي[3] بأنه «كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفننًا في كل علم»، ووصفه الذهبي[4] بأنه: «كان رأسًا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وله نظم جيد».

وقال عنه ابن حجر[5]: «وقد كان الزمخشري في غاية المعرفة بفنون البلاغة وتصرف الكلام».

ووصفه الفيروز آبادي[6] بأنه «العلامة إمام اللغة والنحو والبيان بالاتفاق».

وقال عنه الزبيدي[7] إنه «علاّمة الدنيا».

ووصفه اليافعي بقوله[8]: «إمام عصره في فنونه».

---

(١) إنباه الرواة ٣/٢٦٥-٢٦٦.

(٢) نقلاً عن الإنباه ٣/٢٦٨-٢٦٩.

(٣) بغية الوعاة ٢/٢٧٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٠/١٥١-١٥٦.

(٥) لسان الميزان ٦/٤.

(٦) البلغة ص ٢٥٦.

(٧) تاج العروس ٣/٢٤٢.

(٨) مرآة الجنان ٣/٢٦٩.

وقال عنه القزويني[1] بأنه «كان بالغًا في علم العربية وعلم البيان، وله تصانيف حسنة ليس لأحد مثلها في فصاحة الألفاظ وبلاغة المعاني مع إيجاز اللفظ، حتى لو أن أحدًا أراد أن ينقص من كلامه حرفًا أو يزيد فيه بان الخلل».

ووصفه ابن تغري بردي[2] بأنه «الإمام العالم العلامة فريد عصره، ووحيد دهره وإمام وقته».

وقال عنه طاش كبرى زاده[3]: «إمام الدنيا في علم الإعراب واللغة والمعاني والبيان والزهد وحسن السيرة في السرّ والإعلان، كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفننًا في كل علم».

وقال عنه ابن الأثير الجزري[4]: «كان يضرب به المثل في علم الأدب».

ووصفه ابن أبي الوفاء القرشي بأنه «الإمام الكبير المضروب به المثل في علم الأدب» (انظر الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/١٦٠).

ولعلّ خير ما نختتم به هذه الفقرة، ثناءُ صدر الأئمة أخطب خوارزم على الزمخشري وتفضيله على الشاعر الناثر الشهير أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي في كلمة بليغة جاء فيها: «خوارزم كانت قبل فخرها، مزهوّة بأبي بكرها، صادقة في زهوها به سنّ بكرها، مباهية به مباهاة ببكرها، تعدّه لغرائبه من رغائبها، وتعده لرغائبه عن غرائبها، وما أخطأت خوارزم باعتقادها فيه، وإفاضة ما سمع من النظم والنثر من فَلَق فيه، نعم حال الخوارزمي في فنّه الفاذ إلى جنب فنون العلامة حويلة، وبحره الفياض بالنسبة إلى جدوله دجيلة، هذا بون ما بينهما في علم الأدب، وحفظ لغات العرب. ووراء ذلك لفخر خوارزم في علم النجوم، وعلمي المعاني والبيان، وحلّ

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٢٣.

(٢) النجوم الزاهرة ٥/٢٧٤.

(٣) مفتاح السعادة ٢/٩٧.

(٤) اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٧٤.

مشكلات القرآن، خصائص لا تحصى، وخواص لا تعد ولا تستقصى، لم يحطب الخوارزمي قطّ في حبالها، ولم يَرِشْ شيئًا من نبالها، ولم يستظل ولا ساعة بظلالها...»[1].

مما امتدح به شعراً

كان الزمخشري مُمَدَّحًا، أثنى عليه كثيرون من معارفه وتلامذته وأقرانه وأخدانه شعرًا، فمن ذلك قول بعض المجيدين:

-١-

دَعَوْكَ بـ «جارِ الله» والله عالمٌ ... بأنك جارُ الله حقًا كما وَجَبْ

لعمري لقد فاضتْ وأنت مُفيضُها ... على حَرَم الله الصنائعُ والقُرَبْ

رَقَبْتَ ذِمَامَ الله في كُلّ مؤمنٍ ... وواسيتَهم بالعلم طوراً وبالنَشَبْ

وأنتَ الإمامُ الزاهدُ الورِعُ الذي ... أبَيْتَ اغتراراً باللُجين وبالذهب

وإنك للعلاّمة الجامعُ الذي ... جمعتَ أفانين العلوم إلى الأدب

وما ناصرُ الإسلام غيرُكَ أهله ... وإن طارَ في أعلى المنازل والرُتَبْ

ومَنْ طالعَ التفسير أيقنَ أنّه ... من الفَلَكِ الأعلى أتى ذلك اللقبْ

وإنك أستاذ الزمان وكلُّهم ... تلامذةٌ جاثُون صُفْراً على الرُكَبْ

وَسَمْتَكَ بلا فرقتَ في كلّ بلدة ... جواهرَ علم شَيْخُها العُجْمُ والعَرَبْ

فما لخوارزم التي أنتَ فخرُها ... عَلَتْها الثُريّا، إنّ ذاك من العَجَبْ

التخريج: استجازه الحافظ السلفي الشيخَ الزمخشري ص١٨٩ وهي في أزهار الرياض ٣/٢٩٠-٢٩١.

---

(١) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب - الجزء الرابع- القسم الثالث ص ٢٩٢-٢٩٣.

-٢٠-

وقال البديع الخوارزمي:

أمكّةُ هل تدرين ماذا تضمّنَتْ	بمقدم «جار الله» منك الأباطحُ
به وإليه العِلْمُ يُنْمى وينتمي	وفيه لأرباب العلوم المناجحُ
مَحطّ رحالِ الفاضلين فلم يزَلْ	يَحُطّ إليه الرَّحْلُ غادٍ ورائحُ
إذا انتابه صِفْرُ الوطابِ رأيتَهُ	تحوّلَ عنه وهو ملآن طافحُ
نَمَتْهُ الكرامُ الغُرُّ من خير أسرةٍ	هُمُ قُدوة الدنيا الكهولُ الجحاجحُ
أدلاءُ ضُلّالِ البرايا جِباهُهُمْ	مصابيحُ رُهبانٍ قدَتْها المصابحُ

التخريج: استجازة الحافظ السلفي الشيخ الزمخشري ص١٩١ وأزهار الرياض ٣/٢٩٢.

-٣-

وقول الشريف عُلَيّ بن حمزة بن دهاس الحسني:

وكمْ للإمامِ الفَرْدِ عنديَ من يدٍ	وهاتيك ممّا قد أطابَ وأكثرا
أخي العزمةِ البيضاءِ والهمّةِ التي	أنافت به علامةَ العصرِ والورى
وأحرِ بأن تزهى زمخشر بامرئٍ	إذا عُدّ في أُسْدِ الشرى زَمَخَ الشّرى
جميعُ قُرى الدنيا سوى القرية التي	تبوّأها دارًا فداء زمخشرا
فلولاه ما طنّ البلادُ بذكرها	ولا طار فيها مُنْجِدًا ومُغَوِّرا
فليس ثناها في العراق وأهلِهِ	بأطيب منه في الحجازِ وأشهرا
إمامٌ قَلَيْنا من قَلَيْنا وكلّما	طبعناه سبكًا كان أنضرَ جوهرا
ومكّةُ راووق الرجالِ فهاكه	مُصَفّى، وخُذْ من شئتَ منهم مكدّرا

رَسا طود تقوى، فاض بحر فضائلٍ فكم دكّ أطواداً وغَيض أبحُرا

وتحت عَلاق الصدق سر مُطَهّرٌ يمدانِ دينًا كالمجرة نَيِّرا

فلولا سماء اشمست ثم أقمرَتْ كفى بمعاليه شموسًا واقمُرا

التخريج: الاستجازة ص١٨٧-١٨٨ وأزهار الرياض ٣/٢٨٩-٢٩٠.

-٤-

وقول المنتخب محمد بن أرسلان:

وما ناصرُ الإسلام إلا ابنُ بَجْدَةٍ يُحيط بعلم لا يُحيط به الورى

أبو القاسم المحمودُ محمودٌ الذي به تفخر الدنيا وناهيكَ مفخرا

التخريج: الاستجازة ص١٨٦-١٨٧ وأزهار الرياض ٣/٢٨٨-٢٨٩.

-٥-

وقول شبل الدولة مقبل بن عطية البكري:

هذا أديبٌ فاضلٌ مثل الدراري دُرَرُهْ

زمخشريٌ فاضلٌ أنجَبَهُ زمخشَرُهْ

كالبحرِ إنْ لم أرَهُ فقد أتاني خَبَرُهْ

التخريج: إنباه الرواة ٣/٢٧١.

-٦-

وكتب إليه منتجب الملك ابو جعفر محمد احد كبراء دولة السلطان سنجر رسالة وقصيدة، أما القصيدة فهي:

اليك يهزّني الحُبُّ المطاعُ ويسكرني لرؤيتك النزاعُ

فهل لك يا شقيقَ النفس علمٌ بما انبأتَ عنه واطّلاعُ

ولو أنّي قدرتُ لطرتُ شوقًا بحرفٍ خَطْوُها خَطْوٌ زماعُ

وكنتُ بحيث يوصلني إليكم غدوّي أو رواحي لا أراعُ
وفي عدواء دارك عن دياري أراقب زورةً لا تستطاعُ
يُطيل الشوق أما ذا الليالي (كذا) إليك، فهل لفرقتنا اجتماعُ
وأتت لكلُّ منقبةٍ مُعانٍ ومن درِّ العلوم لك ارتضاعُ
ولمّا كنت جار الله صارت تسيرُ بك الأماكنُ والبقاعُ
تضيء بعلمك الدنيا فيضحى له في كلِّ ناحيةٍ شعاعُ
أبِنْتَ لنا كتابَ الله فاعمِد لتنفعنا، فنعم الانتفاعُ

التخريج: إنباه الرواة على أنباه النحاة ٣/٢٧٢.

-٧-

وقول الخطيب الموفق بن أحمد المعروف بأخطب خوارزم:

أفخر خوارزم ما لي عنك مُنْحَرَفُ ما دام تختلف الأنوارُ والسُّدفُ
ألستَ أنت الذي أوليتني رُتبًا بفضل رفعتها كيوانُ يعترفُ؟
ألستَ أنتَ الذي خَوَّلتني نِعَمًا تُطوى وتُنشر في تعدادها الصحفُ
ألستَ أنتَ الذي من ورد نعمتِه وورد حشمته أجني وأغترفُ
أعداؤك استسرفوني من جهالتهم في وصفها وهي عندي فوق ما أصِفُ

التخريج: الاستجازة ص١٩٠ وأزهار الرياض ٣/٢٩١.

-٨-

وقول الشريف ابن وهّاس:

أتى حَرَمَ اللهِ العظيم مُجاوراً فللّه ما أدنَتْ جِمالٌ وأيْنُقُ
فَمِنْ حوضِه عَبَّتْ ظِماءُ ذوي النُّهى فآبَتْ رِواءً وهو ملآنُ يَفْهَقُ

التخريج: الاستجازة ص١٨٨ وأزهار الرياض ٣/٢٩٠.

-٩-

وقول يعقوب بن شيرين الجَنَدي:

فتًى سارَ في الآفاقِ رُكبانُ ذكرِه ... مُغَرِّبةً طوراً وطوراً مُشَرِّقَهْ
إذا حلَّ في أرضٍ أتاه فحولُها ... تُفيدُ علوماً حولَهُ مُتحلِّقَهْ
وإن خاضَ في شرح العلوم رأيتَها ... لِفَرْطِ احتشامٍ من معاليه مُطرِقَهْ
فليس له في كلِّ شرقٍ ومغربٍ ... نظيرٌ بنو الدنيا على ذاك مُطبِقَهْ

التخريج: أزهار الرياض ٣/٢٩٢ والاستجازة ١٩٠.

-١٠-

وقول مجير الدولة علي بن الحسين الأردستاني:

وجَوَّلْتُ فكري في البلاد فلم يَقَعْ ... على رَجُلٍ في علمه غيرِ راجلِ
إلى أنْ جرى الطيرُ السَّنيحُ فدلَّني ... على فخر خوارزمٍ ورأس الأفاضل

التخريج: الاستجازة ص١٨٦ وأزهار الرياض ٣/٢٨٨.

-١١-

وقول الشريف ابن وهّاس:

لقد شجَّني في أمِّ رأسيَ عَزْمُهُ ... فأصبحتُ من عزم الإمام أميما
تمنيت لو لم ألْقَهُ وجهلتُه ... ولم يُحْشَ قلبي بالفراق كلُوما
فديتُ امرأً يحشو الفؤادَ فراقُهُ ... كلوماً، ولُقياهُ حَشَتْهُ علوما
وكائنْ رأينا من أولي العلم والتُّقى ... رجالاً أناخوا بالحجاز قُروما
فأخْمَدَ استاذُ الزمانِ ضياءهم ... وكان وكانوا شارقاً ونجوما

التخريج: الاستجازة ص ١٨٨ وأزهار الرياض ٣/ ٢٩٠.

-١٢-

وقول الخطيب الموفق:

لسانك غوّاص ولفظك لؤلؤ ... وفكرك بحر للفضائل طامي
لسان يودّ الحاسدون لو انه ... سنان قناة أو غرار حسام

التخريج: الاستجازة ص١٩٠ وأزهار الرياض ٣/٢٩١.

-١٣-

وقول ابن القرطبي:

مُنعِمًا بلّغ تحياتي إلى ... شيخنا العلامة الحَبْر العَلَمْ
أيّ آداب وعلم وتُقى ... منه فارقتُ وحلم وحِكَمْ
ليس قُسّ عنده قُسًّا ولا ... سيبويه الشهم يدري ما الكَلِمْ
لو جعلتَ اليمّ حِبْرًا والفلا ... مُهْرَقًا كانت معاليه أطَمْ
كل موجود سواه حيثُ لم ... أرَذاك الفضل في عيني عدم

التخريج: الاستجازة ص١٨٩-١٩٠ وأزهار الرياض ٣/٢٩١.

-١٤-

وقول العميدي:

فلَوْ وَزن الدنيا تراب زَمَخْشَر ... لأنك منها زاده الله رُجْحانا

التخريج: الاستجازة ص١٨٨ وأزهار الرياض ٣/٢٩٠.

آثار الزمخشري

لم يحاول أحد من القدامى حصر مصنفات الزمخشري، وأوسع القوائم التي وصلتنا أوردها ياقوت[١] وعدّ فيها إحدى وخمسين مُؤَلفًا له، وأردفها بقوله: وغير ذلك. وأوسع القوائم في عصرنا هذا قائمة الدكتورة بهيجة الحسني - وهي من المتخصصات بدراسة الزمخشري ونشرت عددًا من آثاره المخطوطة - وقد أحصت فيها ستة وخمسين كتابًا[٢].

وفي رحلتنا الواسعة عبر المخطوط والمطبوع استطعنا أن نقف على ذكر ثمانية وستين كتابا للزمخشري. وقمنا بتصنيفها إلى ثلاثة مجاميع: المطبوع ثم المخطوط فالمفقود.

المطبوع من آثار الزمخشري:

١- «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» انتهى من تأليفه عام ٥٢٨هـ. وهو تفسير للقرآن الكريم. ذكر له بروكلمان عددًا ضخمًا من المخطوطات وعددًا كبيرًا من الشروح والتعليقات والمختصرات، كما أورد ذكر ثلاثة ردود عليه[٣].

طبع عدة طبعات منها طبعة المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة في ٤ مجلدات ط٢: ١٩٥٦-١٩٦٨ وفى آخر الجزء الرابع: الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني، ويليه كتاب مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف لمحمد عليان المرزوقي[٤].

وكان الزمخشري شديد الاعتزاز بتفسيره هذا، وفيه يقول مفتخرًا[٥]:

---

(١) إرشاد الأريب ٧/١٤٧-١٥١.

(٢) المحاجاة بالمسائل النحوية ص ٢٢-٤٣.

(٣) بروكلمان ٥/٢١٦-٢٢٤.

(٤) ذخائر التراث العربي الإسلامي ١/٥٥٢.

(٥) بغية الوعاة ٢/٢٨٠.

إنّ التفاسير في الدنيا بلا عددٍ وليس فيها لعمري مثلُ كشافي
إن كنتَ تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهلُ كالداءِ، والكشّافُ كالشافي

٢- المُفَصَّل في صنعة الإعراب: وهو أشهر كتبه في النحو انتهى من تصنيفه سنة ٥١٥هـ. طبع عدة طبعات[1]. وفي مدحه قال الشاعر[2]:

مُفَصَّلُ جارِ اللهِ في الحسن غايةٌ وألفاظُه فيها كَدُرٍّ مُفَصَّلِ
ولولا التقى، قلتُ: المفصلُ معجزٌ كآيِ طوالٍ من طوالِ المفصّلِ

٣- المحاجاة بالمسائل النحوية: سمّاه السيوطي «الأحاجي النحوية» حققته الدكتورة بهيجة باقر الحسني ونشرته في بغداد سنة ١٩٧٣. وذكره بروكلمان باسم «المحاجات ومتمم مهام أرباب الحاجات في الأحاجي والأغلوطات في النحو».

٤- «الأنموذج في النحو»: وهو كتاب صغير في النحو اختصره الزمخشري من «المفصل» وأهداه إلى الوزير علي بن الحسين الأردستاني، وقال في ذلك[3]:

«وأنموذجًا» أنفذتُ منه يضمّه رجائي أرى منه وجوه المناجح
أراقبُ من عين الوزير اطلاعةً عليه، وحسبي منه لمحة لامح

طبع الكتاب عدة طبعات، وله شروح مطبوعة[4].

٥- القسطاس المستقيم في علم العروض: حققته الدكتورة بهيجة باقر الحسني وطبعته في النجف سنة ١٩٧٠، وله شرح مخطوط في ليدن من تأليف أحمد بن الحسن بن أحمد النحوي الموصلي[5].

(١) حول طبعاته انظر ذخائر التراث ٥٥٣/١، وبروكلمان ٢٢٤/٥.
(٢) كشف الظنون ج٢ العمود ١٧٧٤.
(٣) المحاجاة ص ٢٧.
(٤) ذخائر التراث ٥٥٠/١، وبروكلمان ٢٢٧/٥-٢٢٩.
(٥) بروكلمان ٢٢٩/٥.

٦- مقدمة الأدب: معجم عربي فارسي، ألفه الزمخشري لتعليم الفرس اللسان العربي. صنفه للأمير أبي المظفر أتسز بن خوارزم شاه الذي عاش بين عامي (٥٢١-٥٥١هـ).

طبع الكتاب في ليبسك سنة ١٨٤٣ بتحقيق المستشرق وتزستاين[١] كما طبع في طهران في مجلدين ١٩٦٣-١٩٦٥ بتحقيق سيد محمد كاظم إمام[٢].

٧- الفائق في غريب الحديث: من أجود الكتب في موضوعه، أثنى عليه ابن الأثير[٣] وابن حجر العسقلاني[٤]. طبع غير مرة وأجود طبعاته بتحقيق البجاوي وأبي الفضل إبراهيم في أربعة أجزاء. القاهرة ١٩٦٩-١٩٧١م.

٨- أساس البلاغة: معجم لغوي نفيس يهتم بالاستعارة والمجاز طبع طبعات متعددة[٥]. وله مخطوطات كثيرة ذكرها بروكلمان[٦].

٩- الجبال والأمكنة والمياه: معجم جغرافي، طبع عدة مرات، آخرها وأجودها طبعة الدكتور إبراهيم السامرائي - بغداد ١٩٦٨ وقد نشره بعنوان «الأمكنة والمياه والجبال» واعتمد في نشرته مخطوطتين من مخطوطات مكتبة أحمد الثالث في الآستانة[٧].

١٠- مسألة في كلمة الشهادة: نشرتها الدكتورة بهيجة الحسني - بغداد ١٩٦٧ ضمن «رسالتان للزمخشري» - الرسالة الثانية.

١١- خصائص العشرة الكرام البررة: نشرته د. بهيجة الحسني في بغداد ١٩٦٨.

---

(١) معجم المطبوعات ٩٧٦.
(٢) ذخائر التراث ١/٥٥٣.
(٣) مقدمة كتابه «النهاية في غريب الحديث والأثر» ج١ ص٩.
(٤) لسان الميزان ٦/٤.
(٥) ذخائر التراث ١/٥٤٩.
(٦) بروكلمان ٥/٢٣١.
(٧) الذخائر ١/٥٠٠-٥٥١، وبروكلمان ٥/٢٣١.

١٢- النصائح الكبار، ويسمى أيضًا المقامات: وهي خمسون مقامة صنّفها الزمخشري بعد المرضة الناهكة التي نزلت به سنة ٥١٢هـ وخاطب فيها نفسه، طبعت غير مرة، وله شرح عليها طبع معها[1]، وترجمها ريشر إلى الألمانية.

١٣- المستقصى في أمثال العرب: معجم في الأمثال، طبع في حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٨١هـ بتحقيق محمد عبد المعيد خان. وله مخطوطات كثيرة[2].

١٤- الكلم النوابغ: حكم ونصائح مسجوعة. نشرها شولتز سنة ١٧٧٢م مع ترجمة ألمانية، ونشرها دي مينار في باريس سنة ١٨٧١م مع ترجمة فرنسية. وطبعت طبعات غير علمية عديدة من بينها طبعة عبد الحميد أحمد حنفي بالقاهرة وعليها شرح يحل غريب ألفاظها. وأجود نشراتها نشرة الدكتورة بهيجة الحسني في مجلة «العرب» السعودية الجزآن التاسع والعاشر ١٩٧١[3].

١٥- ربيع الأبرار: وهو موسوعة أدبية كبيرة نشرها في بغداد بأربعة أجزاء الدكتور سليم النعيمي - ١٩٧٠م. ومن المؤسف أن نشرته هذه افتقدت الفهارس فضعف الانتفاع بها. وله مخطوطات ومختصرات كثيرة ذكرها بروكلمان[4].

١٦- أطواق الذهب أو «النصائح الصغار»: وهي مائة مقالة تتضح بالثورة على الظلم والفساد وتدعو إلى التمسك بالعدل والفضيلة، وتهاجم الفلسفة والتنجيم. ترجم الكتاب إلى الألمانية وطبعه جوزيف فون هامبر في فيينا سنة ١٨٢٥ وترجمة مينار إلى الفرنسية ونشره بباريس سنة ١٨٧٦. وطبع عدة

---

(١) ذخائر التراث ٥٥٢/١، وبروكلمان ٢٢١/٥-٢٢٢، وفيه ذكر مخطوطاته.
(٢) بروكلمان ٢٢٢/٥.
(٣) حول مخطوطات الكتاب وشروحه انظر بوكلمان ٢٢٢/٥-٢٢٣.
(٤) بروكلمان ٢٢٤/٥-٢٢٥.

طبعات غير علمية. واورد بروكلمان ذكر مخطوطاته ومخطوطات كتب قلدته[1].

١٧- القصيدة البعوضية: نشرتها الدكتورة بهيجة الحسني في بغداد سنة ١٩٦٧ مع تخميسها في مجلة «الأستاذ».

١٨- اعجب العجب في شرح لامية العرب. هو شرح لقصيدة الشنفري اللامية، طبع طبعات عديدة. من بينها طبعة دار الوراقة ١٣٩٢هـ[2].

١٩- المفرد والمؤلّف في النحو: نشرته د. بهيجة الحسني في المجلد الخامس عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٦٧.

٢٠- الدر الدائر المنتخب من كنايات واستعارات وتشبيهات العرب: نشرتها د. بهيجة الحسني في المجلد السادس عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٦٨م - ١٣٨٨م.

٢١- استجازة الحافظ السلفي الشيخَ الزمخشري: هما إجازتان نشرتهما د. بهيجة الحسني في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٣م.

٢٢- المفردات في غريب القرآن[3]: طبع في القاهرة - مصطفى البابي الحلبي، ١٣٢٤هـ-١٩٠٨م.

٢٣- ديوان الزمخشري: نشره محققا د. عبد الستار ضيف - القاهرة ٢٠٠٤ مؤسسة المختار. اعتمد المحقق في تحقيقه ست نسخ مخطوطة.

المخطوط من آثاره:

٢٤- قصيدة في سؤال الغزالي عن جلوس الله على العرش وقصور المعرفة البشرية. مخطوطة في برلين برقم ٧٦٨٨[4].

---

(١) بروكلمان ٥/٢٣٥-٢٣٧.

(٢) حول طبعاتها انظر ذخائر التراث ١/٥٥٠.

(٣) ذخائر التراث ١/٥٥٣.

(٤) بروكلمان ٥/٢٣٧.

٢٥- نزهة المستانس ونهزة المقتبس: ذكره ياقوت[١]. منه مخطوطة في اياصوفيا بالآستانة رقمها ٤٢٣١[٢]. قالت الدكتورة بهيجة الحسني عنه: أنها اطلعت عليه فوجدته مختصرًا لربيع الأبرار والمخطوطة مكتوبة سنة ٨٢٨هـ[٣].

٢٦- مختصر الموافقة بين آل البيت والصحابة: منه مخطوطة في مكتبة احمد تيمور باشا بالقاهرة[٤]. وذكر ياقوت أن الأصل لأبي سعيد الرازي إسماعيل.

٢٧- المنهاج في الأصول: ذكره ياقوت[٥] وابن خلكان[٦] وابن قطلوبغا[٧] وغيرهم. ومنه مخطوطة في المدينة برقم ٥١٦ ذكرها بروكلمان[٨].

٢٨- نُكت الأعراب في غريب الإعراب: منه مخطوطة بدار الكتب المصرية ذكرها بروكلمان[٩].

٢٩- الكشف في القراءات: منه مخطوطة في المدينة المنورة، مكتبة رباط سيد عثمان. ذكرها بروكلمان[١٠].

٣٠- رسالة التصرفات: منها مخطوطة في المكتب الهندي ذكرها بروكلمان[١١] وفيها تعليقات لمحمد عصمة الله بن محمود نعمة الله البخاري. قلتُ: ولعلّ هذه الرسالة هي كتابه «طلبة العفاة في شرح التصرفات» التي ذكرها إسماعيل باشا البغدادي[١٢].

---

(١) إرشاد الأريب ١٥١/٧.
(٢) بروكلمان ٢٢٧/٥.
(٣) المحاجاة ص ٤٢.
(٤) بروكلمان ٢٢٨/٥.
(٥) إرشاد الأريب ١٥٠/٧.
(٦) وفيات الأعيان ١٦٩/٥.
(٧) تاج التراجم ٧١.
(٨) بروكلمان ٢٢٨/٥.
(٩) بروكلمان ٢٢٨/٥.
(١٠) بروكلمان ٢٢٨/٥.
(١١) بروكلمان ٢٢٨/٥.
(١٢) إيضاح المكنون ٨٦/٢.

٣١- رسالة في المجاز والاستعارة: منها مخطوطة في طهران ذكرها بروكلمان[١].

قلت: ولعلها كتاب «الدر الدائر المنتخب في كنايات واستعارات وتشبيهات العرب» الذي نشرته د. بهيجة الحسني ومرّ ذكره.

٣٢- تعليم المبتدي وإرشاد المقتدي: منه مخطوطة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة رسائل برقم (٤٢٥٤س)[٢].

٣٣- «رؤوس المسائل» في الفقه: ذكره ابن خلكان[٣]. ومنه مخطوطة في مكتبة جستربتي بدبلن رقمها ٢٦٠٠[٤].

٣٤- شرح أبيات كتاب سيبويه: منه مخطوطة في مكتبة أحمد الثالث بالأستانة[٥].

٣٥- شرح المفصل: سمّاه ياقوت «حاشية على المفصل»[٦]. وسماه السيوطي في بغية الوعاة «شرح بعض مشكلات المفصل»[٧] ومنه مخطوطة في جستربتي برقم ٣٦٥٥ وأخرى في فينا برقم ١٥٤ وثالثة في ليدن برقم١٦٤[٨].

٣٥م- «المنتقى من شرح شعر المتنبي، للواحدي» منه نسخة في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة رقمها ٧٩٥ كتبت سنة ٦٣٢ في ١٣٦ ورقة (الأعلام ٢٣٤/١٠).

آثاره المفقودة:

٣٦- الأسماء في اللغة: ذكره ياقوت - الإرشاد ١٥١/٧. ولا وجه لما ذهب

---

(١) بروكلمان ٢٣٨/٥.

(٢) المحاجاة ص٢٨.

(٣) وفيات الأعيان ١٦٩/٥.

(٤) الأعلام المستدرك الثاني ص ٢٤١.

(٥) المحاجاة ص ٣٢.

(٦) الإرشاد ١٥١/٧.

(٧) البغية ٢٨٠/٢.

(٨) بروكلمان ٢٢٥/٥ والمحاجاة ص٣٢.

إليه الدكتور أحمد محمد الحوفي من أنه يرجح كونه جزءًا من كتابه «مقدمة الأدب»[1]. ذلك أن ياقوت ذكر الكتابين معًا.

٣٧- الأجناس: ذكره ياقوت[2].

٣٨- «الأمالي» في النحو: ذكره ياقوت.

٣٩- جواهر اللغة: ذكره ياقوت.

٤٠- ديوان التمثيل: ذكره ياقوت.

٤١- ديوان خطب: ذكره ياقوت.

٤٢- ديوان رسائل: ذكره ياقوت.

٤٣- متشابه أسماء الرواة: ذكره ياقوت.

٤٤- الرسالة الناصحة: ذكرها ياقوت، وهي التي ننشرها اليوم.

٤٥- رسالة المسأمة: ذكرها ياقوت.

٤٦- الرائض في الفرائض: ذكره ياقوت.

٤٧- معجم الحدود: ذكره ياقوت.

٤٨- ضالة الناشد: ذكره ياقوت.

٤٩- عقل الكل: ذكره ياقوت.

٥٠- صميم العربية: ذكره ياقوت.

٥١- سوائر الأمثال: ذكره ياقوت.

٥٢- تسلية الضرير: ذكرها ياقوت. وهي التي ضمها كتابنا هذا.

٥٣- رسالة الأسرار: ذكرها ياقوت.

٥٤- شافي العي من كلام الشافعي: ذكره ياقوت.

---

(١) الزمخشري للحوفي ص٦٠.

(٢) آثاره من رقم ٣٧ إلى ٥٥ ذكرها ياقوت في إرشاد الأريب ١٥١/٧.

٥٥- «شقائق النعمان في حقائق النعمان» في مناقب الإمام أبي حنيفة: ذكره ياقوت.

٥٦- «المفرد والمركب في العربية»: ذكره ياقوت ١٥١/٧ وهدية العارفية ٤٠٢/٢.

٥٧- ديوان المنظوم: ذكره في ربيع الأبرار. وافتخر بهذا الكتاب شعرًا.

٥٨- «أساس التقديس» في التوحيد: ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ٦٧/١ وهدية العارفين ٤٠٢/٢.

٥٩- المختلف والمؤتلف: ذكره السلفي في استجازته الزمخشري - مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد ٢٣ ص١٨٤.

٦٠- أسرار المواضع - ذُكر في هدية العارفين ٤٠٢/٢. قلت: ولعله رسالة الأسرار التي مرّ ذكرها.

٦١- الرسالة المبكية - ذُكر في هدية العارفين ٤٠٣/٢.

٦٢- زيادات النصوص: ذكر في هدية العارفين ٤٠٣/٢.

٦٣- «شرح مختصر القدوري» في فروع الحنفية: ذكر في هدية العارفين ٤٠٣/٢.

٦٤- كلمات العلماء: ذكر في هدية العارفين ٤٠٣/٢.

٦٥- مناسك الحج: ذكر في هدية العارفين ٤٠٣/٢.

٦٦- نصائح الملوك: ذكر في هدية العارفين ٤٠٣/٢. قلت: لعله «الرسالة الناصحة» التي مرَّ ذكرها.

٦٧- صحيح العربية: ذكر في هدية العارفين ٤٠٣/٢. قلت: لعله صميم العربية الذي مرّ ذكره.

٦٨- المدخل في النحو: ذكره صاحب عقود الجوهر ولم يذكر مرجعه[١].

---

(١) عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفًا فمائة فأكثر: جميل العظم ص٢٩٧.

١

الرسالة الناصحة

صَنَّفها

أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري

٤٦٧هـ - ٥٣٨هـ

حققها على مخطوطة فريدة

هلال ناجي



توثيق النص ونظرة فيه:

إن النص الذي ننشره اليوم، كان من آثار الزمخشري المفقودة أجمع على ذلك كل من نشر أثرًا من آثاره أو ترجم له.

حتى وَفَّقَنا اللهُ إلى الظفر بمخطوطته الوحيدة في العالم. وهي الرسالة الأولى ضمن مجموع محفوظ في «كتابخانة ملي ملك» في طهران ورقمه فيها ١٦٢٢. والمجموعة كتبت سنة ٥٨٩ هجرية تضم رسائل للزمخشري وغيره. ووقع نقص في أوراقها في مقاماته كما سقط قسم مهم من آخرها. لكن رسالتنا هذه وصلت سالمة.

وقد كتب على الورقة الأولى ما نصه «الرسالة الناصحة كتبها الشيخ الإمام العلامة فخر خوارزم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله إلى بعض الأئمة الذين كانوا في زمنه».

وعلى صفحة العنوان خاتم المكتبة، وأشعار بالعربية والفارسية لا صلة لها بالنص. وعليها تملكات قرأت منها: الطباطبائي يوسف بن محمد وبجواره ختمه. وتملك آخر أحمد بن الحسين بن علي لم يظهر تاريخه في التصوير.

وقد أثبت الناسخ في خاتمة الرسالة اسمه وتاريخ الفراغ من نسخها بالصيغة التالية: «تمت يوم الخميس من سلخ شهر الله الأصم رجب سنة تسع وثمانين وخمسمائة على يدي المنيب المضيّع لعمره محمد بن أبي يوسف بن عمر بخطه حامدًا لله تعالى ومصليا على رسوله المصطفى محمد وآله مصابيح الهدى».

وهذه الرسالة ذكرها ياقوت في كتابه «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» طبعة مرغليوث ١٥١/٧ في تصانيف الزمخشري[١] وهو أمر يقطع بصحة نسبتها إليه.

وفي دراسة النص نجد أن الزمخشري حرّره إلى أحد الأئمة في زمنه لم تفصح عنه المصادر، ووَجَّهَهُ إليه حين توسّم فيه حبّ العلم وتوقير العلماء والالتزام بتعاليم الإسلام وأوامره ونواهيه وصدقًا في الورع ونيّة صادقة في إحياء السُنّة وإماتة البدع.

وقد ألقى إليه في الرسالة عشر نصائح صدرت عن قلب محبٍّ له واثق بمودته. وطلب إليه أن يتدبرها ويمتثلها.

في الكلمة الأولى أوضح له أن العلماء هم ورثة الأنبياء ودعاه أن يربأ بنفسه أن يُرى على باب ظالم.

وهذه الكلمة تحمل النَفَس ذاتَه الذي عُرف به الزمخشري في كتابه «أطواق الذهب» إذ دَعا به إلى الثورة على الظلم والفساد والتمسّك بالعدل والفضيلة.

وفي الكلمة الثانية دعاه إلى اجتناب الارتزاق من منائح الظلمة وأياديهم. ودعاه في الكلمة الثالثة إلى بذل علمه إلى طالبيه وأن يكون سخيّاً في ذلك غاية السخاء وفي الكلمة الرابعة دعاه أن يقصد بمواعظه وكلماته ودروسه العلمية وجهَ ربّه، لا التوثب والتطلع إلى المراتب والمنازل.

ودعاه في الكلمة الخامسة إلى بذل غاية الجهد في إفهام المُتَلَقّين عنه من طلبته، وألاّ ينتقلوا من موضوع إلى آخر إلاّ بعد إحكامه وإتمامه، فبذلك وحده يرثون خزائن علمه ويُورِثون.

وفي الكلمة السادسة دعاه إلى الإنصاف في المجادلة والمناظرة. وعدم

---

(١) وانظر معجم الأدباء بتحقيق أحمد فريد الرفاعي ١٣٤/١٩. (معجم الأدباء بتحقيق الدكتور احسان عباس ٢٦٩١/٦/ المجلة).

اللجاجة إذا اتضح له أنّ الحق بجانب خصمه. وأن يخفض جناحه للحق فهو أعلى من الغلبة وأحسن في الأحدوثة وأجمل.

ودعاه في الكلمة السابعة إلى اجتناب داء الضرائر وهو المنافسة بين أهل المحابر والمنابر، ودعاه إلى تجنب المنافسة، وقال: إنها عند الرعاع هجنة وفتنة فكيف بالعلماء الذين هم قدوة الناس وأسوتهم.

وفي الكلمة الثامنة دعاه إلى التزام سمت المشايخ في التوقر والتزمت وحسن التماسك والتثبت، والصبر واحتمال الأذى وعدم الضجر وكظم الغيظ واجتناب الغضب. وأوصاه أن يكون وجهه متهللاً في مقامات الجدال.

ودعاه في الكلمة التاسعة ألاّ يفتي على عمياء، وأن يجتنب الفطير من الراي، وألاّ يفتي إلاّ بما احتاط له.

وفي الكلمة العاشرة دعاه إلى اجتناب الرياء والتكلف.

وهذه الكلمات في مجموعها كتبها إلى عالم من علماء زمنه تصدّر للتدريس في مدرسة ما، وهي إلى متانة أسلوبها وجزالته، تتضح بالقيم الخلقية الرفيعة. أحسبها من نوادر النصائح التي يوجّهها عالم أديب كبير إلى عالم آخر يتصدر للتدريس في عصره.

ولقد اعتمدتُ المخطوطة الفريدة التي أشرتُ إليها في صدر كلمتي هذه في تحقيق الرسالة، وفَسَّرْتُ من ألفاظها ما غمض واستبهم، ورأيت في أسلوبها البليغ، ونفاسة محتواها، وكونها من النصوص التي لم تفترع من قبل، بل وما عدّه المختصون بدراسة الزمخشري في الضائع من آثاره، أقول: وجدتُ في ذلك كلّه دافعًا إلى أن أَنْثُو نَصَّها النادر لينتفع به طلابُ المعرفة.

والحمد لله أولاً وآخرًا وباطنًا وظاهرًا.

وكتبه طالب عفوه الراجي

هلال بن ناجي

التمعة على سبيل الرياء والسمعة وان لا ترى [illegible] بفاتر الغابه

والنشاط قليل الاسترسال والانبساط ناطقا كالمتبسمت

جامدا كالمخافت فاذا سمعت بخفيف الموكب المار تحت ابيت

وانتعشت وثبت لك عزفت وانتعشت ورفعت من صوتك

واصوات اصحابك وما شئت من صرختك واجلال بك للشيء

المار فذلك الزجل واللجب ونفض من كل ذلك واجتهاد

العجب فافعل واعمل على بركة الله عملك وان لا تتوسط

الا بمعرفة الوثيقي انملك واجعل ثبتك ولجله في جميع

ما انت قايد بشده وقايم على صفه بمنه يوم الخميس من [illegible]

شهر [illegible] سنه [illegible] وناسخه [illegible] الملك المصيع [illegible]

[illegible] حامدا الله تعالى ومصليا على رسوله المصطفى

محمد واله واصحابه [illegible]

الصفحة الاخيرة من المخطوطة المعتمدة

الصفحة الأخيرة من المخطوطة المعتمدة

بسم الله الرحمن الرحيم

صنعَ اللهُ لكَ بتوفيق يمُدُّ لكَ أسبابَه، ويفتحُ لكَ أبوابَه، ويَهْديكَ إلى مراشدِه، ويهجمُ بكَ على مواردِه، وأمَدَّك بعصمةٍ تُفارقُ بها مواقفَ الزَّلَل، وتُسافرُ عن مواطنِ التفريطِ في العمل. ورزقكَ حياةً طَيِّبةً يُمَهِّدُ لك فراشَها، ووطاءةً من العيش يُضفي عليك رياشَها، وحالاً صالحةً يغبطك بها مُوادُّك، ويحسدُكَ عليها مُحادّك. تتقلّبُ منها في الجناب الأخضر، وتغترف من شربها بالسقاءِ الأوفر. وإذا بلَّغك فيها الأمانيّ، فأودعكَ الشكر السُّليمانيّ، فإنَّ النعمةَ إذا لم يُتَحَدّث بها انقلبَ روضُها كلأً وبيلا، وأصبحتْ إلى نقمةِ اللهِ وغضبهِ سبيلا. وحاطكَ فيها من طُرَفِ الإتراف وبَطَرِه، ومَغَبَّةِ الإسرافِ وسُوءِ أثَرِه. فكم بين المُعْسِرِ التَّرِب وبين المُوسرِ المتربِ، وإن استمجد مَرْخُ نعيم هذا وعَفَارُه[1]، ونُشر على ذلك طمرُهُ[2] وقفارُه، إذا نَزَتْ بالموسرِ بِطْنَتُه، وخَمَدَ ذكاؤه وفِطْنَتُه، فغرز رأسَهُ في سِنَةِ الغفلة والسهو، وباع ما عند اللهِ باللذاذة واللهو، ورجع أخيب صَفْقَة (٢ آ) من شيخ مَهْو[3] وصَبَر المُعْسِرُ على مكابدةِ سوءِ الحال والشَّظَفِ ومُعاناةِ ما يلقى من الحَفَف[4] والضَّفَف[5]، وعَصَمه فَقْرُهُ مّما تَخَرَّقَ فيه الغَنِيُّ من ركوبِ المناهي، وتَخَبَّطَهُ به الشيطانُ من تُرسِ الملاهي.

---

(١) (المَرْخُ والعَفَار: نوعان من الشجر ومن أمثالهم: في كل شجر نار.. واستمجد المَرْخُ والعَفَار، ومعناه: استفضل، أي استكثرا من النار، كأنهما أخذا من النار ما هو حسبهما فصلحا للاقتداح بهما. ويقال: لأنهما يُسرعان الوَرْيَ، فشُبِّها بمن يكثر من العطاء طلبًا للمجد. اللسان (مجد) ومجمع الأمثال ٢/٤٤٥./ المجلة).

(٢) الطمرُ: الثوب الخَلَقُ.

(٣) مَهْو: بطن من عبد القيس. وفي الأمثال: إنه لأخْيَبُ من شيخ مهو صفقةً. قال: وهم حيٌّ من عبد القيس كانت لهم في المثل قصة يسمج ذكرها. انظر جمهرة الأمثال ١/٢٨٨-٢٨٩.

(٤) الحَفَفُ: عَيْشُ سوءٍ وقِلَّةُ مال.

(٥) الضَّفَفُ: كثرة العيال. أو الضيق والشدة. القاموس (ضفف).

إذا عصم الفقرُ الفتى من ركوبه   معاصيَ مولاه فما أخسر الفقرُ
وإن تسـ...ـره أرخى عنانَ فؤاده   بعصيانه المولى فما فعل الكفرُ[1]

وجَعَل مُنْقلبك عن الحياة الطيّبة في الأولى، إلى أطيب منها وألذّ في العُقْبَى، في جوار العلماءِ الأتقياءِ غير الأشقياء، وفي صحبة الأبرار من ورثة الأنبياء، فإنّك بحمد الله حقيقٌ بأن يرتاح لك -عَزَّ اسمُهُ- بالفوز والكرامة. وتتفح لك يداه بإحلال دار المقامة، لما تميّزتَ به من كثير من أهل مَسْقَط رأسك، وعالَم من أبناء جنسك، من نفس زاكيةٍ كملَتْ إنسانيّتُه، وصَحَتْ في تتبُّع الحقائق نيَّتُها، ومن إتقانٍ في العلم نَعَشَ اللهُ به رُكْنَيْك، وصدقٍ في الورع طهَّرَ به رُدْنيك، ومتانةٍ في إحياءِ السُّنّة أنتَ نَسيجُ وحدها، وحماسةٍ في إماتة البدْعة أنتَ قائد جُنْدها، وخدمةٍ للفقاهة في الدين أنتَ فيها أبدًا مُشَمِّرٌ عن السَاق، مشدودُ الخاصرة بالنّطاق. الليالي تبشّ بك سرورًا بلقائك، وتُسَبِّحُ لله داعيةً بإطالة بقائك (٢ ب) لأنّك مُحْييها إذا أماتَهُ[◆] المُعَطِّلون، ومُسَهِّدٌ أجفانَك فيها إذا رقدَ المتَبَطِّلون. تراك وحدك ماثلاً وإياهم صَرْعى، ولا يرى الفرقدان أرقب منك لهما وأرعى. فراشكَ مَطْويٌّ وقد نشروا مَفارشَهم، ورواهِشُك[2] باديَةٌ وقد غمرت الكدية رواهِشَهم. تُسَمِّنُ دينَك إذا سَمَّنُوا أبدانَهم وماشيتَهم، وتتعهد حواشِيَ كُتك إذا تعهّدوا خَوَلَهم وحاشيتَهُم. وما أنسَ لا أنسَ من بين خِلالك السنيّة، وخصالك السرِّية واحدةً هي أسنى من جميعها وأسرى، وأحقّ بالنداء عليها وأحرى، وقصّتُها أغرب، وحديثُها أعجب، وتلك إقامَتُك على وضوءٍ دائب، وعلى طُهْرٍ ضربةَ لازب، وأنّك[3] في عمرك في دفتر، ولا قبضت بثلاثك على مِزْبَر، ولاّ اتفق لك استمدادٌ من طرفي الحبر

---

(١) في البيتين طمس شديد وظهرت منهما بقايا كلمات تَرَمَّمْناها، واجتهدنا في إقامة الوزن والمعنى.

(◆) كذا في الأصل، والصواب: أماتها.

(٢) الرواهش: العَصَبُ التي في ظاهر الذراع، واحدتُها راهشة وراهش. (اللسان: مادة رهش).

(٣) من لفظة (أعجب) وحتى لفظة (وانك) سقط من المتن فدوّن في الهامش بخط الناسخ، وبعدها في الهامش كلمتان لم تظهرا في المصورة بوضوح.

والنفس إلاّ على سبوغ الطهر وتمام القدس، ورُبَّ واحدةٍ هي عند الواحد المنّان ثمن الخلودِ في مخارف[1] الجنان. وايْمُ اللهِ إنّ طهارة ظاهرك لينِمٌّ على طهارة باطنك، وإنّ نقاء بارزك ليترجم عن نقاءِ كامنك، فإنّ مَثَلَ ضميرِ الإنسان مَثَلُ المادةِ إمّا أنْ ينبع بعذْبِ فراتٍ يُبَشِّر به مائحه[2]، ويشدو عليه ماتحه[3]، أو بملح أجاجٍ يَعْبِسُ من أسقاه، ويتفل من احْتَساه (٢ آ).

وفصُّ أمركَ وسرُّهُ أنّك لما أصبحْتَ من مقامات الناقصين بمعزل، ومن العلم والدين بمنزل، كان كلُّ شيءٍ تعلّق منهما بسببٍ أو تشبّث منهما بذنب، فخمًا عندك مُفَخَّمًا، عظيمًا في نفسك مُعَظَّمًا، فأنتَ وإنْ استفرغتَ طوقكَ في احترامه وإكرامه، وخرجتَ عن مجهودك في إكباره وإعظامه، كنتَ لنفسك مُستقصرًا، ولِما استعظمَ الناسُ من مُبالغاتك مُستَصغِرا. ثمّ لله أنتَ إذا أخذت في توقير الأئمة الذين أخَذْتَ عنهم، والصدور الذين تَلَقَّنْتَ فنونَ علمك منهم، وإطنابك في وصفهم بمحاسن تمتلئ منها المسامع، وفضائل ترتجّ بها الأندية والمجامع. ومن كان بالصفة التي ذكرتُها لم يُستغرب منه أن ينظر إلى محلّ من أخذ عنه العلمَ بعين الإجلال، ويرى الذهاب عن توقيره عين الغواية والضلال، وسبب تخلية الله له من يده وخذلانه، وعلّة شقائه في الدارين وحرمانه. وأن يعرف حقّه مُحلّقًا على هامِ حقوق الأمّ والوالد، وتراب أخمصه مُفَدَّيًا(◆) بأعلاق الطارف والتالد، لعلمه أنّ الرجال بقلوبهم، والقلوبُ موتى ما لم تُحْيِها البصائر (٣ ب) والألباب، والبصائرُ والألبابُ حَيْرى ما لم تهدها العلوم والآداب. فمن أفادَك علمًا فكأنّما أوْجدكَ فائدةَ وجودك، وأطعمكَ ثمرةَ حدوثك، وإلاّ فسواءٌ أنتَ والعدم، وعلى أبويك أن يطول منهما الندم. ولمّا عريَ من عريَ من تلك الصفة، ونأى بجنابه عن العدل والنَّصَفَة، وتاه في سبل الغيّ تيه الهائم، ورضي لنفسه أن يعيش عيشَ البهائم، فلم يرفع رأسًا بآمر المروّة،

---

(١) المخارف: جمع مَخْرَفة وهي سكّة بين صفّين من نخل يخترف من أيهما شاء، أي يجتني.

(٢) مائح: المَيْحُ أن يدخل البئر فيملأ الدلو وذلك إذا قلّ ماؤها، ورجلٌ مائح من قوم ماحة.

(٣) ماتح: امتاح فلانٌ فلانًا إذا أتاهُ يطلبُ فضلَهُ فهو ممتاح.

(◆) في الأصل: «مندّيًا».

ولم يلحظ بمُؤْخِرِ عينِه وَجْهَ الفتوة، وتساوى عند الخير والشرّ، والعقوق والبرّ، والغدر والوفاء، والصلةُ والجفاء، والطيش والرجاجة، والحياء والوقاحة، والإحسان والإساءة، والمسرّة والمساءَة، والإسخاط والإرضاء، والعتبا والإغضاء، والتلطّف في المقال، والتعجرف في النقّال[1]، وعدم في الجملة الإنسانية وما يتبعها، وفقد الآدمية وما يُشَيّعها، تبع ذلك أن استهان بالعم، وربّما فضَّل عليه الجهلَ بجهله، وتمنّى أن لم يكن محلقًا بأهله، لأنّه لم يَشْدُ ما شدا إلاّ ليتسلق به إلى المطامع الدنيّة، ويتطوق إلى الأغراض الدنيوية، فإذا رأى الجاهلَ المصمتَ قد سبقه إلى الحظ(٤ آ) فاشتمل عليه، وجمع دونَه على الحُطام يَدَيْه، سَوَّل له الشيطانُ أنّ العلمَ هو السببُ في حرمانه، ولولا العلم لكان أجَدَّ أبناءِ زمانه، لا جَرَمَ أنّ حقّ أستاذه كان عنده من الخافية في مهبّ الريحِ أخفّ، ومن لا شيء في العدد أطفّ.

أعاننا اللهُ على ما أخذنا به أنفسنا من برٍّ من أخذنا عنه، وعلى شكر ما أولانا بذلك من البركة الظاهرة، والنعمة المتظاهرة، وصَبَّرنا على جفوة من أخذ عنّا، وبَصَّرَهُ - بما زوى عنه من بركته ونعمته، وما عرّضَهُ له من عقابه ونقمته - الفَرْقَ بين الأمرين، لعلّه يقيس ويعتبر، ويُبصر ويستبصر.

هذا وقد ألقيتُ إليك عشر كلمات في النصيحة صدرت عن قلب لك وامق، وصدرٍ بمودّتك واثق. فتدَبَّرْها تَدَبُّر أمثالك، ولا تُخْلِها من حُسْنِ تقبلك وامتثالك.

الكلمة الأولى

إنّ اللهَ جلّت قدرتُه، ودقّت حكمتُه، كما كرَّم بني آدم وفَضَّلهم على كثيرٍ ممّن خَلَقْ، وجعلهم أحقَّ بالفضلِ والكرامةِ والخَلَقْ، كذلك فَضَّلَ بعضَهم على بعض تفضيلا، وفصَّل مراتبَهم ومقاديرهم (٤ ب) تفصيلا فلم يرفع منزلةً فوق منازل الأنبياء، ولم يُعْطِ أحدًا ما أعطاهم من العُلُوّ والسناء. ثمّ جعلَ حَمَلَةَ

(١) النقّال: الرَّديان، وهو بين العدو والخبب.

العلوم والحِكم، ورثتهم دون جميع رجالات الأمم. وكانت الحكمةُ البالغة ومقياسها، والقسمة العادلة وقُسطاسُها لا تقتضيان غير ذلك، لأنّ شأنَ الأنبياء غير شأن الأكاسرة، وحالَهم خلاف حال الملوك الجبابرة. فمواريثُ أولئك أعراضُ الدنيا من أحجار الأرض وحيوانها، وما عَمروه من جنانها وبُنيانها. وأمّا الأنبياء فالعلم والحكمة تُراثهم، وحَمَلَتُها لا محالة وُرّاثهم، قياسٌ سويٌّ، وحكم ضَروري. فانظر في أيّ منزلة وضع اللهُ العالِمَ، وكيف حَطّ عن مرتبته -ما خلا الأنبياء- العالَمَ، ثم هات( )[1] وعِللك وهيهات. ولا عذرَ ولا علّة لك إلاّ إذا تكلفتَ من التأويل البعيد شططا، وتجشمتَ من الجدال والتعسّف خُططا. لِمَ لا تربأ بنفسك التي فَضّلها اللهُ وكَرّمَها، وأَجَلَّها وعَظّمَها، عن أن تذلّ لمن أَمَرَ اللهُ بإهانته وإذلاله، ونهى عن إكباره وإجلاله ولِمَ تَزُور ولا تستزير، ومَزُورٌ قِرْدٌ أو خنزير وما بالُ العالِمِ يُرى على باب الظالم (٥ آ).

الكلمة الثانية

ما خَلَقَ اللهُ ممّا إلاّ تكفّل برزقه قَبْلَ خَلْقِه، وكتبَ على خَلْقه أن لا يُلِمَّ بغير حَقّه. فلا بُدَّ للمؤمن بالله ويصدق مقالته، من الوثوق بضمانه وكفالته، حتى لا يُشْرِعَ بابًا إلاّ شارعَه، ولا يكرع في مشارعه. وأن لا يطلب ولا يُصيب، إلاّ ما استيقن فيه الحلّ والطيب. مع عِلْمِهِ أنّ نَفْسًا لن تُزْهَقَ قبل أَجَلِها، ولن يكسر أحدٌ طرفًا من أُكُلِها. وإنّ حِرْصِضه على التفسّح في الملابس والمطاعم، وتهالكه على الرحل الخصيب والعيش الناعم، وجَسارته لذلك على الله وعلى تعدّي الحدّ الذي نَصَبه، لا يُجدي عليه إلاّ التعرض لمقت اللهِ وغضبه، من غير أن يصل مما حرص عليه إلى أَرَبِه. فكم ترى حريصًا على الحرام أَيْنَما توجّه في طلبه حُرِم، وأيّما خِلْفٍ[2] هَمّ باستدرارِه صُرِم[3]، مَمْنُوٌ[4] أَبَدًا بضيق مجاله،

(١) سقوط كلمة في المتن، لم يظهرها التصوير مقروءة في الهامش.

(٢) خِلف: ضرع الناقة.

(٣) صُرم: قُطع.

(٤) مَمْنُوٌ: مُجازى.

مشفوهة[1] مواد مناله. قد أعيا عليه القشرة والقوت، وهو عند الله والناس ممقوت.

ولعلّ من رَفَلَ من أكَلَة الحرام في أذيال أحواله، ودرّت له لِقاحُ أمواله وبالت عليه الدنيا[2]، ونالته ما يحبّ ويَهْوى (٥ ب) لو اختارَ طلب الحلال لكان أحسن حالاً، وأكثر مالاً، ولطاع له المرتع، ولطابَ له المكرع ولكنّه أساء لنفسه الاختيار جَهلاً، فلا لقي مَرْحبًا ولا أهلاً.

وإنّ من المصاذب الفاجعة المثكلة، والخطوب الملتبسَةِ المُشْكِلَةِ، ما يرتزق العالم من منائح الظلَمة وأياديهم، ويتلوّث به من غسالات أيديهم، ولقد كشفَتِ الحقيقةُ الغطاءَ، وكشط الإنصافُ اللّحاءَ، ولكنّه يتمحّل لتغطية الحقّ بعد ما وضح، ويتعمّل في كتمان النهار وقد أصبح. فاتّقِ اللهَ في رزقك، وارفق بوجوهِ رفقك، فإنّ للرزقين أثرًا في الأنفاس والأفكار، ونصيبًا من الجنّة والنار.

الكلمة الثالثة

الناسُ بعضُهم ببعضٍ موصول، وأمر بعضهم إلى بعضٍ موكول. ومكتوبٌ عليهم أن يتقارضوا المنافع والمعونات، ولا يتمانعوا ما في أيديهم من الماعونات. وإذا عُدّت المنافع وهي أصنافٌ وأنواع، وفُصلتِ المعادن وهي أخيافٌ[3] وأوزاع[4]. وذُكِرَ السلطانُ وما ينتفعُ به الناسَ من جمعهم على كلمةٍ ناظمةٍ، وعطفهم على ألفةٍ عاصمةٍ، ومن سياسةٍ (٦ آ) لأمورهم وقراعة دون ثغورهم، ومحاماته عليهم من عادية المُتَحَيِّفِ، وذياده عنهم ضِرارَ المتخطفِ، وسُمّي ما للسُوقةِ في أعمالهم وحرَفهم، وما هم عليه في مضطربهم ومتصرَّفهم من المصالح الجمّة التي لا يكتنهها صفة الواصف، بل لا يكتَنِفُها معرفة العارف، ثم

---

(١) مشفوهة: المشفوه: القليل. وماء مَشْفوه: ممنوع من ورده لقلته. والمشفوه: الذي أفنى مالَهُ عيالُه ومن يقوتُه.

(٢) وبالت عليه الدنيا: أي سخرت منه حتى نام عن طاعة الله.

(٣) الأخياف: الضروب المختلفة في الأخلاق والأشكال.

(٤) الأوزاع: الضروب المتفرقون، ولا واحد له.

نظر إلى منفعة العالِم، وُجِدَتْ أعظمَ من تلك المنافع بحذافيرها، وكان أقلّها أجْدَى من تلك المرافق وجماهيرها لثلاثة معان: أحدها: أن العالِمَ لمّا كانت طبقَتُهُ أرفعَ الطبقات كانت صناعتُه أرفعَ، ومحصولُها أنفعَ.

والثاني: أنّ سائر المنافع لا يفتقر كلّ أحدٍ إلى كلّها، ومن الناس من لا حاجة به إلاّ إلى أقلّها، وإلى العلم هم على بكرة أبيهم فقراء عالة، ليس لأحدٍ منهم بدٌّ منه ولا محالة.

والثالث: أنّ منفعة العلم باقية لا تضمحلُّ، وثابتةٌ لا تستقلُّ، مأمونة أنْ تتحول أو تتغيّر، لازمة لصاحبها أيّةً سَلَك وحيث سُيِّر. تصحبُه في الأولى والآخرة، ولا تفارقُه على الغبراء والساهرة.

وإذا كانت منفعتُك على هذه الصورة، فاجعل ساعاتِك على بَذْلها مقصورة، وكن (٦ ب) بنتائج عقلك أجود من حاتم طيِّىء بعقائله، وبذخائر فضلك أسخى من حارثة بن لام بفواضله. واغدُ أحرصَ على اقتباس علمك من الجاثي بين يديك على اقتباسه، واستأنس بتعليمه وإفادته على أضعاف استيناسه، وأصبِحْ كالرائد العَجلان في طلب رُوّاده، وكالوارد الظمآن في ابتغاء وُرّادِه. وإن أمكنكَ التواضعُ للمشي إليهم، والهجوم للإفادة عليهم، فافعلْ فإنّ ذاك لا يَرْزَؤك حكمةً وعلمًا، ولا يبخسك حظًا ولا قسمًا. بل أنتَ حينئذٍ أحكم وأعلم، ولا تَقُلْ «في بَيْتِهِ يُؤتى الحَكَمْ»(١).

الكلمة الرابعة

لكُلِّ شيء معنى لازم، وهو موضوع له ومفطورٌ عليه، وطارئٌ يُشَيّعه ويطأ عقبَيْه. والمعنى اللازم بكون العلم مُعَلّما ومُتَعَلّما، أن يكون إلى العمل الصالح وإلى ما عند اللهِ سُلّما. وأمّا حصول التقدم به والرياسة في العاجل، والتوثّب

---

(١) قال في الفاخر ص٧٦: هذا شيءٌ يتمثّل به العرب على المزح ولا أصل له. وانظر المثل في كتاب الأمثال للسدوسي ص٤٧ وكتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلاّم ص٥٤ وجمهرة الأمثال ٣٦٨/١ و١٠١/٢ والميداني ٧٢/٢ والمستقصى ١٨٣/٢ واللسان مادة (حكم).

على المراتب والمنازل. فمن طوارئ هجائجه وفوائده، وعوارض ثمراته وعوائده.
إلاّ أنّ ذاك هو الذي يتتبعها ويستحرّها[1]، ومتوليه هو الذي يمتري[2] أخْلافَها
ويستدرّها. وإنّما تقبل هذه التوابع تامة السوالف (٧ آ) والمناكب، طويلة القُرون
والذوائب، إذا لم يخْطرها الرجلُ بباله، ولم يجعل طَلَبَها من أشغاله، وجعل
الغرضَ الأصليّ مَرْمى هِمَّتِه، ومناط شَرَهِه ونَهْمَتِه، فقعَد مرتقبًا لفضل الله
وجزيل ثوابه، وعلى مرصاد الفوز في منقلبه ومآبه. ومن ورائه شرفُ الدنيا
يركضُ على أثره طالبا، ويُجَدّدُ السَعْيَ ليلحق به دائبا. فاقصِد بكلّ جلوس
لِدَرْسك تجلسُه، وكلّ درس في مجلسك تدرُسُه، وبكُلّ مسألة تحفظها، وكلّ
موعظة تَعِظُها، وكلّ فكرة تُرَدّدُها في طيّ جَنانِك، وكُلّ كلمة تُجْريها على أسَلة
لسانك، وَجْهَ رَبِّك الذي إليه إيابُك، وعليه حسابُك، وفي يده ثوابُكَ وعقابُك
فإنّكَ إنْ فعلتَ أدّيْتَ ما عليك من المفترض، وأصَبْتَ شاكلةَ الغَرَض، وإن منعتكَ
نفسَها الرياسةُ الفانيةُ، فقد ادَّخَرْتَ لِنَفْسِكَ الملكَ السَرْمَدَ، والنعيمَ المُخَلَّد.

الكلمة الخامسة

ملاك أمْرِكَ أيُّها الحَبْر النُعماني، والشارع الربّاني، أن تمزج إفادتك
بمناصحة من يقرأ عليك، وتبذل الشفقة للجاثي بين يديك، فإن الإفادة إنّما
تكون (٧ ب) بهما إفادة، وإلاّ كانت صَلِفَةً[3] رَعّادةً.

وأن تتشبّه بالحمامة في رفرفتها على الفرخ وعطفها، ونيقتها[4] إذا
زَقّته ولُطْفِها، وما هي جادّة فيه من برّه وصلته، وتحصيل ما في حوصلتها في
حوصلته. فلا يفارقك إلاّ والمستفاد مُتَفَهّمٌ مُتَلَقّنٌ، والمقتَبَسُ مُتْقَنٌ مُتَيَقّنٌ. قد
انزاحت عنه كلّ شبهة وإشكال، ولم يشبه ما طرق سمعه طارق خيال. فكائن
مِمّن يقعدون إليك كما قعدوا ينهضون ويُقبلون عليك بوجوههم وكأنهم

---

(١) استحرّ: بمعنى اشتدّ وكثُر.

(٢) يمتري: مَرى الشيءَ وامتراه: استخرجه.

(٣) صَلِفَة: السحابة قليلة الماء كثيرة الرعد.

(٤) نيقتها: النيقة من التنوّق، وتنوق فلان في مطعمه وملبسه إذا تجوّد وبالغ.

مُعرضون لأنّهم لم يتقبلوا علمَ ما أسندْتَ ظهركَ لتعليمه، ولم تُحِطْ أفهامُهُم بما تَصدَّرْتَ لتفهيمه. وما ذاك إلاّ لأنّ جهارةَ صوتك مسموعةٌ، ونصيحتك في ذات الله ممنوعةٌ. وإنك غير عاقد هَمَّكَ بمعنى الصناعة ولكن بالاسم، وتَحْقيقها لكن بالعادة والرسم. فإنّ القعودَ بصدد الرياسة يُغنيك، وما سوى ذلك لا يَهُمُّك ولا يعنيك. ولو نصحتَ لما باشَرْتَ تعليقاتهم، وما يتلقفون منك بتفقّدك، وَلَوَكَّلْتَ بأورادِهم عليها عينًا كالئةً من تعهدك، حتى تعلم هل فوائد علمك (٨ آ) مأخوذة، أم هي وراء الظهر منبوذة؟ ولأبَيْتَ عليهم أن ينتقلوا من شيءٍ إلى شيءٍ إلاّ بعد إحكامه، وأن يتركوا بابًا إلى باب إلاّ بعد إتمامه، إذَنْ لأفاض اللهُ بركاتِ نُصحك وإشبالك[1] على صفحات أحوالهم وأحوالك. ولَنَشأَ لك منهم في المُدَد القلائل، والأزمان والأوقات غير الأطاول، بنو صِدْقٍ يوفون بعقودك ولا ينكثون، ويرثون خزائنَ حكمتك ويُورثون.

الكلمة السادسة

الإنصافَ الإنصافَ في ساعات مجادلتك ومناظرتك، وفي أوقاتِ مجاوبتك ومحاورتك. ومتى عَنّ لك ما صحّ عندك أنه باطل، ورأيٌ عن حِلْيَةِ التحقيق عاطل. ولخصمك ما وَضَحَ لك أنه الحقُّ الأبْلَج، والطريق المنهج، فلا يَسْتَهْوِيَنَّك هوى نفسك، ولا يَسْتَغْوِيَنَّكَ الظهور على ابن أنسك، وإيّاك والانتدابَ لنصرة مقالك، والإغراق في مرائك ومحالك، والرمي بالحصى من وراء مُحالك، والانتصاب لهدم ما وطّد، وفَسْخ ما وكّد، وتضعيف ما قوّى، وتعويج ما سَوَّى، بِخَطَلٍ منك وسلاطة لسان، وجريان وفضلٍ من بيان، وتمشية تبرز السَّقيم (٨ ب) في معرض الصحيح، وتمويه يُلحق الهجين بالصريح. واعلم أنّ نفسك إنْ زيّنت لكَ ذلك فَهْيَ من خصمكَ لكَ أخصمَ، وَلِظَهْرِكَ في الحقيقة أقصم. فبالتسليم للمحقِّ ألجمها وبكِّتْها، وألقمها الحجرَ بالإذعان له وأسكِتْها، وَضَعْ لعزِّ الحقِّ خَدَّكَ ضارعًا، واخفض له جناحك خاضعًا، تُدرك ما هو من الغلبة أعلى وأفضل، وأحسن في الأحدوثةِ وأجمل، ولهوى النفس

---

(١) الإشْبالُ: التعطف على الرجل ومعونَتُه.

الأمّارةِ بالسوءِ أقمــع، وللمثوبة عند الله أجمع، وَمَنْ تذلّل للحقّ فقد اجتلبَ العزّ بأصْبارِهِ[1]، ومـــن ومن تَعَــزّزَ بالباطــل فقد اجتلب الذُلّ بأَعْيارِه[2].
والله أعلم.

الكلمة السابعة

أُعيذُكَ باللهِ من داءِ الضَّرائر، وهو المنافسة من أهل المحابر والمنابر. وما جرَّ بهم إليه منَ التجاذب لأردية التكاذب، ومن التغالب على الرُّتَب والتكالب. وَمِنْ بَغْيِ بعضهم على بعض بالنقصِ والزراية، وبَتِّ القضاء والشهادة بدقّة الفهم والدراية، والتلقيب بالعاميّ من هو أفْقَهُهُم وبالكَوْدَن[3] من هو أفْرَهُهُم. والسَّفْيِ الواصِبِ في النكاية والضِرار، والسبّ والاغتياب (٩ آ) آناء الليل والنهار، عند التلاقي إخوانٌ على سرر متقابلون، فإذا افترقوا فأبناء حَرْبٍ متقاتلون. إذا أصابَ أحدَهم متاعٌ من الدنيا قليل، أو نصيبٌ من وُلاتِهم ضئيل، لم يبق للباقين روحٌ ولا جسد، إلا وقد أكَلَهُما الغيظُ والحسَد. وما ذُكر أحدهم بخير إلاّ اضطربوا واضطرموا، وتكلموا في معناه فَجَرَّحوا وكَلَموا، ولم يُبالوا أن يُشهِرُوه بمشاتمَ ومطاعِنَ، ويُشيروهُ بمقابح وملاعن. ويفعلوا ما ينقلب معه الذكرُ بالخير نداءً عليه بالشرّ وتسجيلاً بالمعاب الذي لا يُطمس رقمهُ أبَدَ الدهر، لأنّ ذاك أكثر ما يجري في المحافل الغاصّة، والمجالس الجامعة للعامّة والخاصة، فكأنّما لِيُسْمِعوا الحجيجَ ما تواصفوه من عُواره، وكأنّما صَوَّتُوا على جبل عرفاتٍ بِسَوْءته وشَواره[4]. فهذه كلُّها نتائج المنافسة وهي أُمُّها، ومُسَنّاتُها التي إليها انصبابُها وأَمُّها.

فَرُضْ نفسَك بالتَحفُّظِ منها كما يتحفّظُ الأمْلَسُ من الدَبِر[5]، والتَطيُّر

---

(١) اجتلبَ العزّ بأصباره: أي تامًا بجميعه (اللسان مادة صبر).

(٢) اجتلبَ الذُلّ بأعياره: أي بأوتاده، وفي المثل «أذلّ من وتد».

(٣) الكودن: البرذون الهجين، وقيل هو البغل.

(٤) شَواره: أي عورته.

(٥) الدَبِر: الدابة أو البعير المصاب بِقَرْحَةٍ في ظهره أو خُفّه.

من شؤمها كما يتطيّر المُقبل من المُدْبِر، واعتقادِ أنها عند الحِشوة والرَعاع هجنةٌ، وأنّ (٩ ب) وقوعَها بينهم فساد وفتنةٌ. فكيف بالذين هم قِدوة الناس وأسوتُهم، وعن آرائهم يَصْدُرُ رجالُهم ونسوتُهم وعلى عَذَبات ألسنتهم وأسنان أقلامهم يدورُ التمييز بينَ حلالهم وحرامهم والله أعلم.

الكلمة الثامنة

لا يُقضى لعقولٍ بالحصافة والرصانة، إلاّ شواهد من الوقار والرزانة، وبما يُمَهِّد من تناسب حركاتهم وسكناتهم، واستقرارهم عند إطلاق الحُبى على مكناتهم، وإطفائهم لنيران الحَرَد والغضَب، وتفاديهم من الضجر والصَخَب، وتبسّمهم عند القهقهة والاستغراب، وقلة تعجبهم عند ترقيص الرؤوس والاستعجاب. فإنّ العقلَ إذا طاش ظهر الطيشُ في المعاطف، وأثّرَ في المناكب والسوالف. وكَثُر الضحك والضجاج، وجاء المحك واللجاج. والحَرَدُ من أدنى موجب، والإعجابُ بغير معجب.

وكان الرجل مُتهافتًا لا يتمالك، ومتفكّكًا لا يتماسك وما سَمَّتْهُ العَرَبُ عقلا ولا حِجْرا، إلا لأنَّه يَعقل عَقْلا ويحجر حَجْرا. فعليكَ بسَمْتِ المشايخ في التوقر والتَزَمُّتِ، وحُسْنِ التماسك (١٠ آ) والتَثَبُّت. وعقد الحبوة وإن حُلّت الحبى، والتصبّر وإن بلغ السيلُ الزُبى. والاحتمال للأذى، والإغضاء على القذى. وإن هاجَتْ زيراؤك[1] فلا تضيقَنَّ عليك غبراؤك، وأدركها بالحلم، وسَكِّنها بالكَظْم، ولا تضجر فليس الضجر من أُبَّهة الشيوخ، ولا من صِفة الموصوفين في علمهم بالرسوخ وإنْ استطعتَ التَصَوُّنَ منه في مقامات الجدال، والتحفُّظ عند الجواب والسؤال، فجاء ما جاء منك ووجهُكَ مُتَهَلِّلٌ مُتَطَلِّق، ووميضُ ثناياك مُتَألِّق، فما أجملها من خَصلةٍ تبذُّ سائرَ الخصال، ويالها حَسَنة تُرَدّي أردية الجمال.

---

(١) هاجت زيراؤك: اي هاج غضبك. وزيراء خادمة كانت للأحنف بن قيس، وكانت سليطة فكانت إذا غضبت قال الأحنف: هاجت زيراء، فصارت مَثَلاً لكل إنسان إذا هاج غضبه (انظر اللسان مادة (زير)).

الكلمة التاسعة

أحقُّ الأمانات بأنْ يؤدِّيها الأميرُ، وأَوْلى الضمانات بأن يَفي بها الضمير أمانتك التي أنتَ لأعبائها مُتَحَمِّل، وضمانك الذي أنت بالوفاء به مُتَكَفِّل. فراقبِ اللهَ فيما استودعك من كرائم ودائعه، وائتمنَكَ عليه من ذخائر شرائعه. فلا تضعها إلاّ حيث تكون من الآفات محفوظةً، وبأعين التوقير والاعتداد ملحوظةً. وحُط قواصيها بحامٍ من الاحتياط والترفق (١٠ ب) واضمم حواشيها براعٍ من التأنّي والتأنّق. وأذْكِ عليها عُيونًا ترقبها من خطفات التحريف[1]، وتحامي عليها من وَثَبات التجديف[2]. واعلم أنّ المُتَصَدِّي للفتوى قريبٌ من المَتْوى، إلاّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ من أن يُفتي على عمياء، وأن يخبط خبطَ عشواء. وتجنّب الفطير غير المخمَّر، ولم يُفْت إلاّ بالمحتاط فيه المتدبّر، وإلاّ فهو مُحَلِّلٌ للحرام، مُحَرِّمٌ للحلال، سالكٌ بالمسلمين أَوْدِيَةَ الضُّلال.

الكلمة العاشرة

من أُمّهات خبائثِ الأفعال، وممّا لا يصدر عن ذكورة الرجال، تكلّف الإنسان ورياؤه، الذي يمسخُ وُجوهَ الخير مَسْخا، وينْسَخُ آياتِ البرِّ نَسْخا. ويعمل في الطاعات عملَ شُعلة القابس، إذا تعلقت بالحَطَب اليابس. ويأكل أوساط الأعمال حتى يَدَعها صفرا، ولُبابها إلى أن يُخلّيها قِشْرا. وما ظنُّك بشيءٍ ماخامَرَ حَسَنَةً إلاّ قَلَبَها سَيِّئَة، ولا طاعةً إلاّ رَدَّها مَعْصِيةً، بل ارتكاب السيئة في العلانية والجهار، والمبادأة بالمعصية في وَضَح النهار، خيرٌ من طاعة يُرائي بها عاملُها، ومن حَسَنَةٍ (١١ آ) لم يُرد بها وَجْهَ اللهِ فاعلُها. ومن خُبْثِه أنَّ له مَدَبّاً خَفِيّاً تحت كل عمل تليه، ومَسْرىً لطيفًا مع كُلّ صنيع تأتيه، وكأنّه من أَدقّ ما دبّرهُ الشيطانُ في كيد العالَمين، ومن أَلْطَفِ ما زوّره في المكر بالعالِمين. فاستعمل الجدّ كلّ الجدّ في التوقّي والتحفظ، ولا تُفَرِّط في أخذ الحذر والتيقظِ، لئلاّ يفجأك من جانبٍ لا تحتسبه، ولا يُبَيِّتُك من كمينٍ لا

---

(١) التحريف: التغيير.

(٢) التجديف: الكفر بالنعم.

ترتقبه. فرُبَّ هَنَةٍ هي عندك هَيِّنة الخَطْب، ولعلَّها حَلَّت من خطاياك محلَّ القُطب. وطَهِّر أردانك بالتورع والتعفف، من لطخ المُراءاة والتكلّف. حتى إن استطعتَ -وما أظنك تستطيع- لأنَّ المرءَ لأمْرِ العادةِ سامعٌ مُطيع، أن لا تستتبع من الحافّين حولك مثل الجحفل الجرّار، والعسكر الكرّار، وليس حين تعاوُن على كفاية خطب كبير، ولا يوم إيقاع بعدوٍّ مُغير، ولا ساعةَ من سعات الظفر بالقِرى، والدعاء إلى الجَفَلَى[1] ولا النَّقَرى[2]. ولكن ليُقال ما أكثر أتباعَهُ وأكثف أشياعَهُ. وأن لا تَستَهْتِر بعظَم العمامَةِ وسعة الأكمام، ليتضخم في العيون حجم اليخ الإمام. وأن لا تتكلف على منبرك اعتصار[3] (١١ ب) الدَّمْعَةِ على سبيل الرياء والسُمعة. وأن لا تُرى في مدرستك فاترَ الرغبةِ والنشاط، قليل الاسترسال والانبساط، ناطقًا كالصامت، جامدًا كالمُخافت. فإذا سمعت بحفيف الموكب المار تحركتَ وانتعشتَ، ونَبَتَ لك عُرْفٌ وانتفشتَ، ورفعتَ من صوتِكَ وأصوات أصحابك، وما شئت من صرختك وإجلابك، لتسمع المارّةُ ذلك الزجل واللجب ويقضى من كدّك واجتهادك العَجَب. فافعل واعمل على أن تخلص لله عملك، وأن لا تتوطَ إلاّ بعروتِه الوثقى أملَك، واجعل نيّتك واحدة في جميع ما أنت قاعدٌ بِصَدَدِه، وقائمٌ على رَصَده.

تمت يوم الخميس من سلخ شهر الله الأصم رجب سنة تسع وثمانين وخمسمئة على يدي المنيب المضيع لعُمره محمد بن أبي يوسف بن عمر بخطه حامدًا الله تعالى ومُصليًا على رسوله المصطفى محمد وآله مصابيح الهدى.

---

(١) الجَفَلى: الجماعة.

(٢) النَّقَرى: أي دعوتهم دعوة خاصة. قال طرفة:

نحن في المشتاة ندعو الجَفَلى   لا ترى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

(٣) في المخطوط: الاعتصار.



رسالة في التسلية لمن كُفَّت عَيْنُه

صنَّفها

أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري

٤٦٧هـ - ٥٣٨ هـ

حققها

الأستاذ/ هلال ناجي



بين يدي الرسالة

صنَّف هذه الرسالة الإمام جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المولود في زَمَخْشَر سنة ٤٦٧هـ، والمتوفى فى كركانج «قصبة بلاد خوارزم» ليلة عرفة من عام ٥٣٨ هـ.

والزمخشري غنيٌّ عن التعريف فقد انتهى إليه في عصره علم اللغة والنحو والتفسير وقد فَصَّلنا القول في: مولده واسمه وكنيته ولقبه وشيوخه وفي أطراف من سيرته ووفاته ومن تلمذوا عليه ومذهبه وآراء المصنفين فيه، وما امتدح به شعرا وآثاره فيما تقدم.

لم يحاول أحد من القدامى حصر مصنفات الزمخشري، وأوسع القوائم التي وصلت إلينا أوردها ياقوت؛ ذكر فيها واحدًا وخمسين كتابًا أو رسالة من مصنفاته، أردفها بقوله: وغير ذلك. وأوسع القوائم في عصرنا هذا قدمتها الدكتورة بهيجة باقر الحسني - وهي من المتخصصات بدراسة الزمخشري ونشرت عددًا من آثاره المخطوطة - أحصت فيها ستة وخمسين كتابًا[1].

وفي رحلتي الموغلة عبر المخطوط والمطبوع وقفت على ذكر ثمانية وستين كتابًا للزمخشري صنفتُها إلى ثلاثة مجاميع: المطبوع فالمخطوط فالمفقود. ونشرتها في البحث المتقدم.

ثم أتيح لي بأخرةٍ الوقوف على مخطوطة جديدة له لم أكن عرفتها وهي:

«شرح المقامات»، فله كتاب معروف عنوانه «المقامات في المواعظ» وله شرح مستقل عليه، منه مصورة بخزانتي حاليًا.

(١) مقدمة تحقيقها لكتاب «المحاجاة بالمسائل النحوية» ص ٢١-٤٢ بغداد ١٩٧٣.

كما أُتيح لي الوقوف على مخطوطتين له كانتا تعدان في المفقود من آثاره، إحداهما الرسالة التي ننشرها اليوم وعنوانها «رسالة في التسلية لمن كُفّت عينُه».

وهي رسالة عَدَّها كل المهتمين برصد آثاره في الضائع من مصنفاته.

وقد ذكرها ياقوت بعنوان «تسلية الضرير» فيما ذكر من مصنفات الزمخشري[1]. وأصلها في مجموع مخطوط محفوظ في كتابخانة ملك في طهران برقم ١٦٢٢ ورسالتنا هذه هي الرسالة الثانية في المجموع المذكور وتشغل منه الورقات (١٢ ب) إلى (١٧ آ). كُتب المجموع سنة ٥٨٩ هجرية - وقد ضممنا إلى نشرتها هذه أنموذجًا منه - وهو بخط محمد بن أبي يوسف ابن عمر.

وقد اعتمدت هذه المخطوطة الفريدة في تحقيق نص الرسالة. ووثقت نصوصها ما أمكنني ذلك، وحرصت أن أُفسّر من ألفاظها ما غمض. وقد استهوتني طرافة موضوعها، ورأيت في أسلوبها البليغ ما هو جدير بالإحياء وأحمد الله - جلّت قدرته - أن وفقني إلى إحياء لبنة متواضعة من تراث الزمخشري الشامخ. إنه المعين الهادي لكلّ خير.

هلال ناجي

---

(١) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب - تحقيق د س. مرغليوث ١٥١/٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

ايدك الله استبصارا في معتقدك ودينك واستبانة لمراشد
ايمانك ويقينك وملأ ارجاء صدرك نورا ساطعا واطوار
ضميرك حقا ناصعا وجعلك من الذين يبصرون ما هو اخفى من
الجاني بعيون الالباب والنهى ويحوطك من شجاع ناظرك
المنطبق وادراك بصرك المنتهي بصيرة نفذت فيما لا ينفذ
فيه احد ناظر ولا يبلغ مطالعها لمح ناصر والتهلك
البنية على اظلام ذلك السواد واوزعك الشكر على اضاءة
سواد الفؤاد فان من قاسمه الله في شيئين فاصابه في القسمة
اعظمها منتفعا واكثرهما مستمتعا واعزهما نفسا واوزادها
زينا واعظمهما رزقا لحقيق ان يشكر على تلك القسمة فاحمد
مولى تلك النعمة وحسب العبد ان الله قسمه غرا وكفاه
الاخره عند الله ذخرا والذي دعاني الى انشاء
هذه الرسالة اني ظننت بك الضجر والجزع مما دفعت اليه
من خرق الحال تقطع الله الحيلة وسوء تدبير القداح

نموذج من المخطوطة المعتمدة

(النص)

بسم الله الرحمن الرحيم

زادك اللهُ استبصارًا في معتقدك ودينك، واستبانةً لمراشد إيمانك ويقينك. وملأ احناءَ صَدْرِك نورًا ساطعًا واطواءَ ضميركَ حَقّاً ناصعًا. وجعلكَ من الذين يبصرون ما هو أخفى من السُّها[1]. بعيون الألبابِ والنُّهى. وعوَّضكَ من شُعاع ناظركَ المنطقي، وإدراك بصرك المنتقي، ببصيرة تنفذُ فيما لا ينفُذُ فيه أحَدٌ ناظرٍ، ولا يبلغ مطامحَها لَمْحُ باصرٍ. والهَمَكَ الصَبْرَ على إظلام ذلك السوادِ، وأوزعكَ الشكرَ على إضاءة سواد الفؤادِ، فإنَّ من قاسَمَهُ الله في شيئين فأصابَهُ في القسمة أعظمهما مُنْتَفَعًا واكثرهما مُسْتمتعًا، وأعزّهما نَقْدًا، وأوراهما زَنْدا، وأعذبهما وِرْدا، لحقيقٌ أنْ يشكر على تلكَ القسمة، ويسجد لمولى تلك النعمة، وحَسْبُ العبد أنّ الله قسَمه فخرا، وكفاهُ ما ادخر له عند الله ذخرا.

والذي دعاني إلى اقتضاب هذه الرسالة أنّي ظَنَنْتُ بكَ الضجرَ والجَزَعَ ممّا دُفعتَ إليه من خرق الكحّال[2] قطّع الله أكحَلَهُ، وسُوء تدبير القَدّاح[3] (١٢ ب) قَدَّح اللهُ في ساقهِ، فحاولتُ أن أتحفكَ بما يُسلّي بعضَ هَمّكَ، ويُخلي طرفًا من غَمِّك. فإنّ لإصابَةِ المَفْصِلِ في القول الموعُوظ به أثرًا في تسلية القلوب، وتجلية الكروب.

قُطِعَتْ رجلُ عروة بن الزبير[4] فقال له عيسى بن طلحة بن

---

(١) السُّها: كوكب صغير خفيّ الضوء في بنات نعش.

(٢) الكحال: من يداوي العين بالكحل.

(٣) القدّاح: الذي يخرج الماء الأبيض الضار من العين.

(٤) عروة بن الزبير بن العوام القرشي: (٢٣-٩٤هـ) من الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة. عرف بصبره وزهده وفقهه لم يزجّ نفسه في الفتن ومات بالمدينة وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق -ر- ترجمته وأخباره في: وفيات الأعيان ٣/٢٥٥-٢٥٨ وطبقات ابن سعد ٥/١٣٢-١٣٥ ونسب قريش ص٢٤٥-٢٤٦ وحلية الأولياء ٢/١٧٦-١٨٣ وصفة الصفوة ٢/٨٥-٨٨ وعبر الذهبي ١/١١٠-١١١.

عبيد الله[1]: «والله ما كُنّا نُعِدُّك للصراع، لقد أبقى الله أكثرك، أبقى اللهُ سَمْعَكَ وبَصَرك ولسانك وعقلك ويديك، وإحدى رجليك»[2].

قال: يا عيسى! ما عَزّاني أحَدٌ بمثل ما عَزّيتني به على أنّي قد علمتُكَ أوقَر من أركان رَضْوى، وأرزنَ من هَضَبات سَلْمى، وما زِلْت مِنْ سنان بن حارثة أحلَم، ومن فَرْخِ العُقاب أحْزَم، فلنْ تُطْلِقَ حبوةَ مثلِكَ شديدةٌ من شدائدِ الدهر، ولن تُزيل مناكِبَك طارِقَةٌ من طوارق الضُرِّ. فأنتَ كما قال بعضُ الناس:

مُتَوَقِّرٌ عَصَفُ النَوائبِ حَولَهُ وكأنَّما هُوَ في الثَباتِ ثَبيرُ

ولكنَّ أبا فراس الحمداني قد نضَح عنّي، وسوَّغ لي ما ظننتُ بكَ من ظَنّي حيث قال: «ولقد ظننتُ بكَ الظنو نَ لأنه من ضَنَّ ظَنّا»(*).

اعلم أن الإنسانَ بقلبِه كما أن النخلة بقَلْبها، والقلبُ بلُبِّه كما أنَّ (١٣ آ) النواةَ بلُبِّها، وما عدا ذلك فهو بالقياس إليه قِشْرٌ قليل الجَدا، تباينهما كتبايُن نِداءِ المصَوِّتِ والصَّدى. ومعلومٌ أنَّ المصابَ ببصره ضَبْطُهُ أقوى وأبلغ، وحفظُه

---

(١) عيسى بن طلحة بن عبيد الله: أبوه طلحة الخير أحد العشرة المبشرين بالجنة. وأمّه سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي خارجة (نسب قريش ص ٢٨٣) روى الحديث عن عمرو بن مرة بن عبس الجهني (تاريخ الإسلام -عهد معاوية- ص٢٨٠) ومن ولد عيسى بن طلحة هذا: محمد بن محمد بن عيسى بن طلحة، وكانت ابنته فاطمة بنت محمد عند «المنصور» فولدت له سليمان ويعقوب وعيسى بني المنصور أمير المؤمنين (نسب قريش ٢٨٧-٢٨٨) توفي عيسى بن طلحة في خلافة عمر بن عبد العزيز وكان ثقة كثير الحديث (الطبقات الكبير لمحمد بن سعد ١٢٢/٥).

(٢) ورد في وفيات الأعيان ٢٥٦/٣ ما نصه: «وكان أحسن من عَزّاه إبراهيم بن محمد ابن طلحة فقال له: والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أرَبٌ في السَّعْي، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض، إن شاء الله تعالى، وقد أبقى الله لنا منك ما كُنّا إليه فُقراء، وعنه غير أغنياء، من علمك ورأيك، نفعك الله وإيانا به، والله وليّ ثوابك، والضمين بحسابك.

(*) في الديوان:

ولقد أسأت بك الظنو ن لأنــه من ضن ضنا

اوفى واسبغ، وقلبُه اشدّ اجتماعًا، واذنُهُ اصحّ استماعًا، وقريحتُهُ اصفى وانصع، وخاطرُهُ أسلسَ واطوع، وذكاؤه الهبُ، وفكرُهُ في كُلّ معنى اذهب، ولبّه احصف، وعقلُه للزجاجة اوْصف، ولسانُه احَدُّ واذرب، وبالتصرُّف في المحاورات ادرب، كانّ ما اَخَذَهُ من إبْصاره رَدَّهُ في استبصاره، وما استرجَعَهُ من ناظريه، اَمَدَّ به اصغريه، فكانَّ ما به الإنسان إنسان اَثْبَتُ فيه قَدَمًا وامكن، واشدُّ استقرارًا عليه واسكنَ.

فاشكر اللهَ على ما وهبَ، ولا تأسَ على ما ذهبَ، وتدبّر قوله عَزَّ وجَلّ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾(1).

وتأمل معنى البيتين المرويين عن ابن عباس(2) -رضي اللهُ عنهما- فقد أتاهُما الحُسنُ والبهاءُ من جهتين، من جهة براعةِ نَظْمِهما، وفخامة مَحَل ناظمهما (١٢ ب).

إنْ ياخُذِ اللهُ مِنْ عينيّ نُورَهُما ... فَفي لساني وقلبي مِنْهُما نورُ

قلبي ذكيٌ وعَقلي غيرُ ذي دَخَلٍ ... وفي فَمي صارمٌ كالبرق مأثورُ

وسمع أبو العيناء(3) المتوكلَ يقول: «ما يمنعني من تَظم أبي العيناء في

---

(١) الآية الكريمة رقم ٢٢ و ٢٣/م سورة الحديد رقم السورة ٥٧.. وتتمة الآية الكريمة رقم ٢٣ ﴿والله لا يُحِبّ كُلّ مختالٍ فخور﴾.

(٢) عبد الله بن عباس (٣ ق. هـ-٦٨هـ). ولد وبنو هاشم محاصرون بشعب مكة قبل الهجرة بثلاث سنين. وفي الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ ضمّه إليه وقال: اللهمّ علّمه الحكمة. كان يقال له حبر العرب وحبر الأمة. وكان من أعلم الناس بالفقه والتأويل والشعر والأنساب وأيام العرب والمغازي، تميز بحافظة عجيبة. توفي في الطائف بعد أن كفّ بصره في آخر عمره. انظر ترجمته وأخباره في: الإصابة رقم الترجمة ٤٧٨١ ج٢/ ٣٣٠-٣٣٤ وصفة الصوفة ٧٤٦/١-٨٥٨ وحلية الأولياء (انظر فهارس حلية الأولياء ص٥٩٠-٥٩١) ونكت الهميان ١٨٠-١٨٢. والبيتان لابن عباس في نكت الهميان ص٧١ ورواية عجز الثاني: كالسيف مأثور.

(٣) أبو العيناء: محمد بن القاسم الهاشمي بالولاء، أصله من اليمامة ومولده بالأهواز. أديب =

جملة ندمائي إلاّ أنّه ضرير». فقال: «إن أعفاني أميرُ المؤمنين عن المسايفة، ورؤية الهلال، وقراءة نقوش الخواتيم، صَلحتُ لمنادمته».

أرادَ أنّ أسباب الصلاح للمنادَمة متوافرةٌ فيه لأنّ تعلق جميعها بالعقل الأصيل، والفضل الباهرِ، والحفظِ القرير، واللسان الذلق، والمِلَح في المنطق، وليس لشيءٍ منها بالبصر مَتَعَلّق.

وممّا لا يرتابُ فيه الأريب أنّ عينَي الإنسان هُما طليعتاه فيما يحدوهُ ويَسوقُه إلى السُبّة والعار، وربيئتاهُ[1] في الهوى الذي يكبّه في النار، بهما يطمحُ أوّلا إلى الدنيا وزهرتها، ثم يضربُ ثانيا في غَمْرتها. لأنّه إذا طمحت العينُ جُنّ القلبُ، وإذا جنّ القلبُ فقد أناخت البليّةُ والمحنةُ وباضت وفرّخَت الفتنةُ، وأعضَل الداءُ، وأعيا الدواءُ. فَرُبَّ نَظْرَةٍ أوقعت صاحبَها في ورطة، ودفعَتْهُ إلى خُطّة، وعانى فيه الشقاءَ العُمَريَّ، والغَرامَ العذريَّ، وما زالت شكيّةَ العُشّاق، (١٤ آ) ومادّةَ الصبابات والأشواقِ.. وكم ذي عينٍ رانٍ هو عند الله زانٍ، وإزارُهُ مشدود، ونطاقُه معقود، وهو بعيد من موقف المنامَسَة[2]، ويده ملساءُ من الملامسَة، وماؤه في فِقْرتَه صَرىً[3]، وفرسُه في آريّه[4] غير مُجرى، ومصحفُه في يده لم يَعدُ الشريعَةَ من مِساسِه، وقُمقمته مَلأى لم يَقلِبْها وجوبُ

=

طريف سريع الجواب عرف بنوادره وحدة ذكائه. له شعر حسن وترسل جيد كُفَّ بصره بعد بلوغه الأربعين. توفي بالبصرة سنة ٢٢١هـ. ولمعاصرتنا الدكتورة ابتسام مرهون الصفار كتاب جيد عنه. والخبر في وفيات الأعيان ٢٤٥/٤ بالصيغة التالية:

«وذُكر له أن المتوكل قال: لولا أنه ضرير لنادمناه، فقال: إن أعفاني من رؤية الأهلّة وقراءة نقوش الفُصوص فأنا أصلح للمنادمة». فالخبر عندنا بصيغة أتم. وفي الأصل المخطوط: ما نصمي، تحريف.

وانظر ترجمته في الوفيات ٢٤٣/٤-٢٤٨، ومصادره ثمة.

(١) الربيئة: الطليعة الذي يرقُب العدوَّ من مكان عالٍ لئلا يدهم قومه، والجمع ربايا وفي أصل المخطوط: ربيتاه -بدون همزة- ولم أجد لها معنىً.

(٢) المنامسة: الاستتار للاقتناص.

(٣) صرى: أي محبوس في مستقرّه.

(٤) آريُّ الدابة: مكانها ومعلفها.

الجَنابَة على راسه، بشهادة النبيّ ﷺ (العينان تزنيان)[١] ويُصَدّقُه قولُه عَزّ من قائل ﴿قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[٢].

فهذا لعمري من الغبن الفاحش، وذاك من البلاء الباطش، ومن عُصِمَ منهما فقد لزمه انْ يَعْتدّ بذلك كَوْرًا لا حَوْرا[٣] وعَدْلاً من الأيام لاجَوْرًا، ويعتقد انّه من الله كلاءَةٌ وعصمة، ولا يُحَدّث نفسَه انهّا معَابٌ او وَصَمَة.

واعلم انّ الله لم يُقَيّض لعباده المؤمنين بليّة من البلايا، ولا اصابَهُم برزِيّة من الرزايا إلاّ مشفوعةً بِمِنَّةٍ جسيمة، ومضمومةً إلى نعمةٍ عظيمةٍ ومن احقّ النِعم التي شُفِعَت بهذه البليّة، واولاها بأنْ يفتتح اللبيبُ بذكرها ويُطنِب في شكرها انّ وجوهَ اكثرِ ابناءِ هذا الزمن الأهوج، وصُوَرَ جُلّ اهل هذا القَرْنِ (١٤ ب) الأعوج، قد صارت محجوبةً عن نظرك، وضُرِبَتْ الأسدادُ بينها وبين بَصَرِك، فإنّها لعمر اللهِ الصُوَر التي ليس للكَرَم عليها مُعَرّج، ولا لعيونِ الأخيار في رؤيتها متفرّجٌ، والوجوه التي دُمِغَت باللّؤم ادَماتُها، وسُلِخَتْ بالهجاء سحكاتها[٤]، ونَضب عن اسرَّتها الحياءُ فلم تبق منه فيها قطرة، وهربَ منها النُبل ونسيَها فما يخطر بباله خطرة، وفقدت السيمياءَ التي يلوحُ ضياؤها على وجوه الأحرار، ويقطرُ ماؤها من خدود الأبرار، كأنّها لوقاحتها وتخليجها حوافر الأعْيار، او صُمّ الأحجار، وما احقّها بأنْ تُضرب هذه الأشعار والحكايات لها امثالا، قال النابغة[٥]:

---

(١) جاء في الجامع الصغير في احاديث البشير النذير للسيوطي ٢/٧١ الحديث الشريف بالنص التالي: «العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، والفرج يزني».

(٢) الآية الكريمة رقم ٣٠ سورة النور م رقم السورة ٢٤ . وتتمتها ﴿ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعُون﴾.

(٣) الكور: الزيادة. والحَوْر: النقص. يقال: نعوذ بالله من الحور بعد الكور. أي من النقص بعد الزيادة.

(٤) هكذا وردت اللفظة في الأصل المخطوط. والمُسْحَنْكِكُ من كُلّ شيء: الشديد السواد -اللسان سحك- وفي الصحاح -مادة سحك-: اسحنك الليلُ اي اظلم. وشَعَرٌ مُسْحنك، أي شديد السواد. ولم أجد سحكة وسحكات في المعجمات، ولعلها سَحَنات.

(٥) البيتان للنابغة الذبياني في ديوانه - ط. أبي الفضل إبراهيم - ص٣٤-٣٥ من قصيدة رو صدر الثاني في الديوان: أقارعُ عَوْفٍ، وهي رواية أجود. تجادع: معناها تشاتم.

لَعَمْري وما عَمْري عليَّ بِهَيِّنٍ		لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليَّ الأقارعُ

أقارعُ عَوْفٍ لا أحاولُ غيرها		وُجوهُ قُرودٍ تَبْتَغي من تُجادعُ

الغَرَضُ في المصراع الرابع.

وقال عمرو بن مَعْدي كَرِب[1]:

لحا الله جَرْمًا كلّما ذَرَّ شارق		وُجوهَ كلابٍ هارشَتْ فازْبأرَّتِ

نَصَبَ الوجوهَ على الذمِّ.

وقال الحطيئة[2]: (١٥ آ)

لَعَمْري لقد جَرَّبْتُكُمْ فوَجَدْتُكُمْ		قِباحَ الوُجوهِ سَيِّئي العَذِراتِ

وقال بعضهم:

كأنَّ دَمامِلاً جُمِعَتْ		فَصُوِّرَ وَجْهُهُ منها

ويحكى عن امرأة بشار بن برد أنّها قالت له: «هل رأيتَ وجهكَ قَطُّ؟ قال: لا. قالت: لو رأيتَ وجهكَ لأتزَرّتَ عليه كما تأتزِرُ على استك».

ونظر الصاحب بن عبّاد يومًا إلى صالح الورّاق فقال: ما أحوجَ هذا الوجه إلى سَلْحَةٍ خسروانيّة.

وقال:

إذا ما ضرطنا ضرطةً كسرويّةً		لجزنا وقلنا في عوارض صالح[3]

---

(١) البيت لعمرو في ديوانه طبعة مطاع طرابيشي ص٥٥. هارشت: من المهارشة وهي تقاتل الكلاب. وازبأرّت: انتفشت حتى ظهر أصول شعرها وتجمعت للوثوب. وجَرْم: قبيلة معروفة.

(٢) البيت للحطيئة في ديوانه ص ٣٣٢. العَذِرات: الأخبية واحدتها عذرة، وقيل هي الأفنية.

(٣) البيت أخَلَّ به ديوان الصاحب بن عبّاد، صنعة الشيخ محمد حسن آل ياسين ط٢- بيروت ١٩٧٤.

وحجّ مُخنّث فرأى رجلاً قبيحَ الوجهِ يستغفرهُ، فقال له: ما أرى لك أن تبخل بهذا الوجه على جهنم.

وقال رجلٌ للجمّاز: خرج بي دُمَّلٌ في أقبح موضع منّي. فقال: كذبت هو ذا أرى وجهك ليس فيه شيء.

فالاكتحال إذَنْ بهذه الوجوه المُشوّهة أذىً، والنظرُ إليها قذىً وأيّ قذي.

سمعتُ صديقًا من أصدقائنا الظِراف وقد أجرينا الكلامَ في رؤية هذه الأهلّة والبدور، والمنوِّرة للقلوب والصدور، فقال: قال النبيُّ ﷺ: «شَيَّبتني سورَةُ هود وأخواتها»[1]. وما أظُنُّ اللبيبَ العاقلَ ولا الكريمَ (١٥ ب) الفاضل تُنازعُه نَفْسُه إلى أعين يَفتح عليها أو يُجيل فيها إنْسانَهُ. ولله درُّ أبي العلاء حيثَ يقول[2]:

أبا العَلا يابن سُلَيْمانا	إنْ العَمى أوْلاكَ إحْسانا
لو أبصرتْ عيناك هذا الورى	لم يَرَ إنسانُكَ إنْسانا

ومن أين تتأسف على النظرة إلى هؤلاء الموحشين غير المؤانسين، وإلى تفاوت حركاتهم، وتنافر سكناتهم، وسوء أدبهم إذا بَركوا بين يديك، أو قعدوا التَربُّعَ أو القُرفُصاء، وتابعوا في وجهكَ الثؤباءَ والمُطَوَّاءَ، وأقبلوا عليكَ بتلك السِبال المُسْبَلة، والشوارب المطوّلة، كأنَّ البدعةَ إحفاؤها، والسُنّة إعفاؤها. وكشَفوا لكَ عن رؤوسهم الجُلْح[3]، وكشَروا عن أنيابهم القُلّح[4]، واطلعوا إليك من أردانهم أكُفّاً قِصارا، إلاّ أنّها طالت أظفارا. قد تراكَم الدَرَنُ في بنانها

---

(١) في الأصل «شيبتني صورة اليهود» وهو كما ترى تحريف واضح.

(٢) أوردهما الصفدي في نكت الهميان ص ٧٥ بعد قوله: ومن المنحول لأبي العلاء المعري. رواية الثاني في نكت الهميان في نكت العميان: لو عاينت عيناك.

(٣) جَلِحَ جَلَحًا: انحسر شعره عن جانبي رأسه.

(٤) قَلِحَتِ السِنّ قَلَحًا: تغيّرتْ بصفرةٍ وخُضرةٍ تعلوها فهي قلحاء، والرجل أقلحُ، والجمع قُلْحٌ.

وأناملها، وتراكبَ الوَسَخُ على بَراجمِها[1] ومفاصِلِها. هنالك يَوَدّ البصير حال أبي العَيْناء، ويتبرا من تمنّي بَصارَةِ «الزَّرْقاء»[2]. وهذا ذِكْرُ المكافيف من السَّلَف:

أبو قُحافة أبو أبي بكر الصدّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[◆]. أبو سفيان بن الحارث[3]. (١٦ آ) البراء بن عازب[4]. جابرُ بنُ عبد الله الأنصاري[5] كعب بن مالك الأنصاري[6]. حسّان بن ثابت[7]. عبد الله بن أمّ مكتوم[8]. أبو سفيان

---

(١) البُرْجمة: مَفْصِل الأصابع. والجمع: براجم.

(٢) المقصود: زرقاء اليمامة، المشهورة بقوة بصرها وبها ضُرب المثل.

(◆) أبو قحافة عثمان بن عامر التيمي والد أبي بكر الصديق. أسلم يوم الفتح. توفي سنة أربع عشرة. ترجمته في الإصابة رقم ٥٤٤٢، ٢/٤٦٠-٤٦١.

(٣) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب: ابن عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة. وكان يؤذي رسول الله في جاهليته ويهجوه. وأسلم يوم الفتح. وشهد حنينًا وثَبَتَ مع النبي ورثى رسول الله بقصيدة حين انتقل إلى الرفيق الأعلى. مات سنة ١٥ للهجرة في خلافة عمر. ترجمته في الإصابة برقم ٥٣٨، ١/٩٠-٩١.

(٤) البراء بن عازب الخزرجي: صاحب جليل شهد الخندق. وفتح الريَّ سنة أربع وعشرين، صلحًا أو عنوة. وشهد مع علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الجملَ وصِفّين والنهرون. ثم نزل الكوفة ومات بها سنة إحدى وسبعين للهجرة بعدما أضَرَّ. ترجمته في نكت الهميان ص ١٢٤-١٢٥.

(٥) جابر بن عبد الله بن عمرو بن سواد الأنصاري. من مشاهير الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- وأحد المكثرين من الرواية. شهد مع رسول الله ﷺ عشر غزوات. وقدم مصر والشام. وكفَّ بصره بأخَرة، عمّر. ومات بالمدينة سنة أربع وسبعين للهجرة. ترجمته في نكت الهميان ص١٣٢-١٣٣.

(٦) كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي. شاعر الرسول ﷺ. توفي سنة خمسين. جمع شعره صديقنا الدكتور سامي مكي العاني ونشره في بغداد سنة ١٩٦٦. وانظر الدراسة الممتعة التي صدّر بها الديوان.

(٧) حسان بن ثابت: شاعر الرسول الأعظم، عُمّر، عاش ستين في الجاهلية ومثلها في الإسلام. خير طبعات ديوانه طبعة وليد عرفات الصادرة في بيروت سنة ١٩٧٤ في جزأين. اختلف في سنة وفاته، والأرجح أنه توفي سنة ٤٠ هـ.

(٨) عبد الله بن أمّ مكتوم: صحابي جليل أسلم بمكة قديمًا وكان ضرير البصر وقدم المدينة مهاجرًا بعد بدر بيسير. وكان يؤذن للنبيّ ﷺ بالمدينة مع بلال. وكان رسول الله ﷺ يستخلفه على المدينة يصلّي بالناس في عامة غزواته. وبسببه نزلت آية ﴿عَبَس وتولّى أن جاءه الأعمى وما يُدريك لعلّه يَزّكّى﴾ فلما نزلت الآية دعاهُ رسولُ الله فأكرمه واستخلفه على المدينة مرتين. مات بالمدينة. ترجمته في الطبقات الكبير ٤/١٥١-١٥٦.

(صخر) بن حرب[١]. عقيل بن أبي طالب[٢]. أبو أسيد الساعدي[٣]. قتادةُ بن النعمان[٤]. أبو عبد الله السُلَميُّ[٥] قتادة بن دِعامة[٦]. المغيرةُ بن مقسَم[٧] رواية إبراهيم النخعي. أبو بكر بن عبد الله ابن الحارث بن هشام[٨]. القاسم

---

(١) أبو سفيان صخر بن حرب: والد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم يوم الفتح. شهد مع النبي ﷺ حُنينا والطائف، وفي الطائف رُمي فذهبت عينه. ثم أصيبت عينه الأخرى يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد، فبقي أعمى. وابنته أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ. توفي سنة اثنتين وثلاثين للهجرة ودفن بالبقيع. نكت الهميان ص١٧٢-١٧٤.

(٢) عقيل بن أبي طالب: أسلم قبل الحديبية، وشهد غزوة مؤتة. وكان أنسب قريش وأعلمهم بأيامهم وأيام العرب وأنسابها. وكان أسرع الناس جوابًا وأحضرهم مراجعة في القول، وأبلغهم في ذلك. توفي في حدود الخمسين وقد أضرَّ بصره. ترجمته في نكت الهميان ٢٠٠-٢٠١.

(٣) أبو أُسَيد الساعدي: واسمه مالك بن ربيعة. شهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. ومات بالمدينة سنة ستين للهجرة وقبل سنة ثلاثين وقد ذهب بصره. نكت الهميان ص ٢٣٣.

(٤) قتادة بن النعمان: بن زيد الأوسي الأنصاري. شهد العقبة وبدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلها مع النبي ﷺ أصيبت عينه فردّها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه. كان من فضلاء الصحابة، وكانت معه راية بني ظفر يوم الفتح. توفي سنة ثلاث وعشرين. أسد الغابة في معرفة الصحابة ١٩٥/٤-١٩٦.

(٥) أبو عبد الله السُلَمي: والصواب أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي واسمه عبد الله بن حبيب من أصحاب الإمام علي، كان مُقرئًا، ويُحمل عنه الفقه، وكان مكفوفًا. انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٢٨ و٥٣٠ و ٥٤٧ و ٥٨٨ .

(٦) قتادة بن دعامة: أبو الخطاب السدوسي البصري الأعمى المفسر، أحد الأئمة الأعلام. كان يضرب به المَثَلُ في حفظه. كان رأسًا في الغريب والعربية والأنساب. توفي سنة سبع عشرة ومائة. نكت الهميان ص ٢٣٠-٢٣١.

(٧) المغيرة بن مِقسَم: الضَبِّي الكوفي أبو هاشم الأعمى، أحد الأعلام. توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة. نكت الهميان ص ٢٩٥.

(٨) أبو بكر بن عبد الله بن الحارث بن هشام: الصواب: أبو بكر بن عبد الرحمن. ليس له اسم، كنيته اسمه. ولد في خلافة عمر، وكان يقال له: راهب قريش، لكثرة صلاته. قال الزبير بن بكار: كان أبو بكر بن عبد الرحمن يقال له: راهب المدينة. عُرف بأمانته. وذهب بصره. مات سنة أربع وتسعين، وهي سنة الفقهاء، لكثرة من مات فيها منهم. صفة الصفوة ٩٢/٢.

بن محمد بن أبي بكر الصديق[1] عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود[2]. معاوية بن سبرة[3] من أصحاب عبد الله بن مسعود. سعد بن أبي وقاص ذهبَ بصره في آخر عمره. عبد الله بن أبي أوفى[4]. علي بن زيد من ولد عبد الله بن جدعان وُلِدَ وهو أعمى[5]. أبو هلال الراسبي[6]. ابن عباس العباس ابن عبد المطلب[7]. قالوا لم يوجد ثلاثة مكافيف على نسقٍ واحدٍ غيرُ عبد الله والعباس وعبد المطلب.

---

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: أحد الأعلام. كان فقيهًا إمامًا مجتهدًا ورعًا عابدًا ثقةً حجة. واضرَّ بآخرة. توفي سنة سبع ومائة. نكت الهميان ص٢٣٠.

(٢) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أبو عبد الله الهذلي. أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. من أعلام التابعين. كان عالمًا ناسكًا. أضرَّ بآخرةٍ. توفي سنة اثنتين ومائتين. نكت الهميان ص ١٩٧-١٩٨.

(٣) معاوية بن سبرة: أبو العُبيدين من بني عامر بن صعصعة. كان مكفوفًا. وكان عبد الله بن مسعود يقرّبه ويدنيه، وكان من أصحابه وروى عنه. الطبقات الكبير ١٢٥/٦.

(٤) عبد الله بن أبي أوفى: هو عبد الله بن علقمة الخزاعي الأسلمي. أحد من بايع بيعة الرضوان. قال: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، نأكل الجراد. شهد الحديبية وخيبر. ولم يزل بالمدينة إلى أن قبض رسول الله ﷺ فتحوّل إلى الكوفة، وكفّ بصره بآخرة. توفي سنة ست وثمانين للهجرة. نكت الهميان ص ١٨٢.

(٥) علي بن زيد: أبو الحسن القرشي التيمي البصري الضرير، أحد أوعية العلم في زمانه. ولد أعمى. قال خليفة: مات في الطاعون، وقال مُطين: سنة تسع وثلاثين ومائة. نكت الهميان ص ٢١٢.

(٦) أبو هلال الراسبي: هو محمد بن سليم، وكان أعمى. توفي سنة خمس وستين ومائة. وكان من التابعين. ذكره ابن الجوزي في فصل «تسمية العميان الأشراف» من كتابه تلقيح فهوم أهل الأثر. المعارف لابن قتيبة ص٥١٢.

(٧) العباس بن عبد المطلب: بن هاشم بن عبد مناف أبو الفضل عم رسول الله ﷺ وكان العباس رئيسًا في الجاهلية وفي قريش وإليه كانت عمارة البيت والسقاية في الجاهلية. أسلم العباس قبل فتح خيبر وكان يكتم إسلامه. ثم أظهر إسلامه يوم الفتح وشهد حُنينًا والطائف وتبوك. وكان أنصر الناس لرسول الله ﷺ بعد أبي طالب. وكان النبيُّ ﷺ يكرمه ويجلّه. وقصة استسقائه الحرمين معروفة. وأضرَّ ﷺ بآخرة. وتوفي سنة اثنتين وثلاثين للهجرة. نكت الهميان ص١٧٧-١٧٨.

ويروى أن معاوية قال لابن عباس: أنتم يا بني عبد المطلب تُصابونَ في ابصاركم. فقال ابن عباس: وأنتم يا بني أميّة تُصابون في بَصائركم[1]. (١٦ ب) إنّ هؤلاء لك قدوةٌ، ولك فيهم أُسْوَةٌ.

فإنّ الألى بالطفّ من آل هاشم ... تآسَّوا فسَنّوا للكرام التّآسيا[2]

فلتَرْبط ذكرَهم على قلبك، ولتنفّس عن كربك، واصبر كما صبرَ أولو العزم، واعمل عملَ ذوي الحزم، واشغل جوارحَكَ الباقية بطاعةِ الله (و) قلبَكَ بالفكر في جلالِه وكبريائه، وتَذكّر ما أُعدّ لأعدائه وأوليائه، ولسانَكَ بشكر أياديه ونعمائه، ورجليكَ بنصبهما في مواقف التعبّد لوجهه والسعي بهما في مظانّ مرضاته، ويديكَ برفعهما داعيًا مُسْتَغْفرا، وبَسْطِهما باكيًا على القرطات مُسْتَعْبِرا، فإنَّكَ إنْ فعلتَ ذلكَ وفيك المعتقدُ المتين، والفضل المبين، والرسوخ في العلم، والتردّي بالحلم، والعقل الرجيح والخُلق السجيح، والفؤاد البريّ من الدغل، النقيّ من النغل، وجدتَ بردَ الرضا والسلوة، وقطفتَ العافية الحُلوة.

تمت بحمد الله ومنّه والصلوات على رسوله محمد وآله أجمعين (١٧ آ).

---

(١) القول في نكت الهميان ص ١٨٢ بالنص التالي: وقال له معاوية رضي الله عنه: ما بالكم تصابون في ابصاركم يا بني هاشم؟ فقال له: كما تصابون في بصائركم يا بني أمية.

(٢) البيت دون عزو في اللسان (اسا) و (أولى). الألى: الذين. الطف: اسم موضع. تآسوا: أي آسى بعضهم بعضا. قال ابن برّي:
وهذا البيت تمثل به مصعب يوم قُتل. وتآسوا فيه: من المؤاساة كما ذكر الجوهري لا من التأسّي كما ذكر المبرد، فقال تآسوا بمعنى تأسّوا، وتأسَّوا بمعنى تَعَزَّوا. ولي في فلان أُسْوة وإسْوة، أي قدوة. قال هلال بن ناجي: الصواب ما ذهب إليه المبرد، فتأسَّوا من التأسّي وهو الاقتداء لا من المؤاساة، والله العالم. وورد البيت في تاريخ الطبري ١٥٦/٦ بالرواية التالية قال عروة بن المغيرة بن شعبة: فقال (مصعب) يا عروة إليّ، فدنوت منه. فقال: أخبرني عم الحسين بن علي، كيف صنَع بإبائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب؟ فقال:

إنّ الألى بالطفّ من آل هاشم ... تأسَّوا فسَنّوا للكرام التأسّيا

قال: فعلمتُ انه لا يريمُ حتى يُقتل.

فهرس الكتاب